رسالة ماجستير بعنوان:

"حركة التضامن الدولية" مع الشعب الفلسطيني

The "International Solidarity Movement- ISM" with the Palestinian People

مقدمة إلى:
معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية
جامعة بيرزيت

إعداد الطالبة:
يارا زياد عبد الله

إشراف الدكتور:
أحمد جميل عزم

2018

رسالة ماجستير بعنوان:

"حركة التضامن الدولية" مع الشعب الفلسطيني

The "International Solidarity Movement- ISM" with the Palestinian People

إعداد الطالبة:

يارا زياد عبد الله

تاريخ المناقشة:

16 نيسان (أبريل) 2018

لجنة الإشراف والمناقشة:

د. أحمد جميل عزم (رئيساً) .....

د. غسان الخطيب (عضواً) .....

د. سامية البطمة (عضواً) .....

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
الملخص	ج
Abstract	خ
المقدمة	ر
مشكلة الدراسة	ص
أسئلة الدراسة	ض
فرضية الدراسة	ض
أهمية الدراسة	ط
المنهجية	ط
مراجعة الأدبيات	ظ
الفصل الأول: الشبكات والحركات العابرة للحدود الوطنية– "إطار نظري"	1

1-1 دراسة شبكات التضامن	3
1-2 تاريخ شبكات التضامن	6
1-3 آلية عمل الحركات التضامنية العابرة للحدود	11
1-3-أ المعلومات	11
1-3-ب مواجهة المعلومات والكيد المرتد	13
1-3-ت المرافقة والتواجد الدولي على الأرض	15
1-4 تعريف وسمات عامة لحركات التضامن والمناصرة	24
الفصل الثاني: تاريخ التضامن مع الشعب الفلسطيني	30
2-1 جذور التضامن الدولي مع القضية الفلسطينية	31
2-2 التضامن منذ بداية الثمانينيات وحتى أوسلو	43
2-3 التضامن الدولي منذ الانتفاضة الثانية	49
الفصل الثالث: حركة التضامن الدولية (ISM)	56

3-1 التأسيس والمؤسسون	56
3-1-أ التأسيس	57
3-2 أهمية الحركة ودورها	77
3-3 مبادئ الحركة	81
3-4 موقف الحركة من قضايا رئيسية وإشكالية	85
3-5 آلية الانضمام وما تليها من إجراءات	93
3-6 التكاليف والإقامة	94
3-7 دعم الحركة ومصادر تمويلها	96
3-8 تركيبة الحركة وآلية صنع القرار داخلها	96
3-9 الخسائر البشرية للحركة عبر عملها في فلسطين	99
3-10 العلاقة بين الحركة الشعبية الفلسطينية وحركة التضامن الدولية	101
الفصل الرابع: أسباب تراجع حركة التضامن الدولية والتقييم العام	115

4-1 التحديات وأسباب التراجع	115
4-2 التقييم العام	130
4-3 اختبار هبة 2015	144
الخاتمة	149
قائمة المصادر والمراجع	154

الملخص:

بحثت هذه الدراسة أسباب وسياقات صعود وتراجع حركة التضامن الدولية مع الشعب الفلسطيني، بناءً على فرضية أن ظهور الحركة مطلع القرن العشرين شكل انعكاساً وتفاعلاً مع حركة النضال الفلسطيني في سياق العولمة، وجاء تراجعها انعكاساً لتراجع النضال الفلسطيني الشعبي والضعف المؤسسي الكامن في الحركات العابرة للحدود في عصر العولمة.

واستندت الدراسة في مصادرها على المقابلات الشخصية مع ناشطين في الحركة أو في الميدان، وشخصيات سياسية ووطنية قريبة من النشاط الشعبي، إلى جانب قراءة للحالات الميدانية في مسيرة الحركة وتحليل وثائق وأدبيات كتبها الناشطون. كما قدمت الدراسة تتبعاً زمنيّاً لتاريخ التضامن الدولي مع الشعب الفلسطيني والتحولات التي طرأت عليه. ونظريّاً، بحثت الدراسة في تاريخ الحركات العابرة للحدود، وأهم سيماتها وأدواتها، والعوامل التي أثرت عليها عبر التاريخ.

تتكون الدراسة من أربعة فصول: تناول الأول الإطار النظري للحركات العابرة للحدود الوطنية التي تعتبر حركة التضامن الدولية جزءاً منها، من حيث تاريخها وفلسفتها وأهميتها بين الفواعل الدولية. فيما تم تخصيص الفصل الثاني للتتبع التاريخي لأطر التضامن الدولي مع القضية الفلسطينية، من خلال ثلاث مراحل فضفاضة: وهي التضامن الدولي مع الفلسطينيين خلال مرحلة الكفاح المسلح في الستينيات، ومن ثم أثناء الانتفاضة الأولى نهاية الثمانينيات وحتى توقيع اتفاقية أوسلو وعودة القيادة الفلسطينية إلى الأراضي الفلسطينية منتصف التسعينيات، وأخيراً

مرحلة الانتفاضة الثانية وحتى الآن. أما الفصل الثالث، فخصص لدراسة حركة التضامن الدولية بشكل خاص، في تركيبتها وأدواتها وفلسفتها، وتمايزها عن حركات التضامن من حيث طبيعة عضويتها، وآلية صنع القرار بين أعضائها، والعنصر الفلسطيني داخلها. وفي الفصل الرابع والأخير، عُرضت الأسباب الرئيسية والثانوية التي أدت لتراجع الحركة، ومن ثم تقييم عام لموقف الحركة الحالي والآفاق المتبقية أمامها.

وخلصت الدراسة إلى أن تراجع حركة التضامن الدولية طغى على كل إنجازاتها النوعية خلال فترة توهجها، وهذا ما حاولت الدراسة توضيحه، وأن أبرز ما أثر على الحركة عدم وجود ذاكرة أو عمود فقري يستند الجميع عليه، إضافة إلى أن العنصر الفلسطيني أثر عليها من ناحية قلة المشاركة الفلسطينية وتراجع المقاومة الفلسطينية وأيضاً الانشقاقات الداخلية، دون إغفال أثر السياسات الإسرائيلية ضد المتضامنين الدوليين. ومع كل الترهل الذي أصاب الحركة، إلا أنها يمكن أن توقظ خلاياها بشرط أن تبقي خطّاً، ولو رفيعاً، مع الفلسطينيين والعالم الخارجي، لتبقى في ذاكرة الجميع. ونظريّاً، خلصت الدراسة إلى أن الحركات العابرة للحدود الوطنية هي فواعل دولية قائمة، حتى لو لم تكن بشكلها التقليدي، وإنما أثرها واضح وتحكمه السياسة الدولية.

Abstract:

This study examined the causes and contexts of the rising and the declining of the International Solidarity Movement with the Palestinian People, based on the hypothesis that the emergence of the movement at the beginning of the 20^{th} century, reflected and interacted with the Palestinian Struggle in the context of globalization. Where its retraction reflected the decline in the Palestinian Popular Struggle and the institutional weaknesses inherent in the transnational movements in the era of Globalization.

The Study is based on personal interviews, with activists in the movement or in the field and with political and national figures close to the popular activity on the ground, as well as presenting and analyzing documents and diaries that were written by the activists. The study also presented a chronological tracking of the history of the ISM and the changes that affected it. While theoretically, the study examined the

history of transnational movements, its main principles, tools, and factors that influenced them throughout history.

The study entailed four chapters; the first one presented the theoretical framework of the transitional movements, of which the International Solidarity Movement is part of, in terms of its history, philosophy, and its importance among international actors. The second chapter was a historical trace of the international solidarity frameworks with the Palestinian cause through three broad phases, the international solidarity with the Palestinians during the armed struggle of the 1960s. Then from the first Intifada at the end of the 1980s until signing the Oslo accords mid-1990s, and finally the third phase that began from the Second Intifada until now. The third chapter focused on the ISM itself; its structure, tools, principles, and its differentiations from solidarity movements in terms of memberships, decision-making mechanism and the Palestinian element within it. In the fourth and last chapter, main and secondary reasons that led to the decline of the movements were

presented, and then a general assessment of the movement's current position and its prospects in the future.

The Study concluded that the fall back of the ISM overshadowed all its remarkable achievements during the period of its glow, and this is what the study tried to make clear, the achievements first and then the reasons of fall back. It was clear that the most important impact on the movements is the absence a "spinal cord" that supports everyone, along with less Palestinian participation in the movement and major internal schisms. In addition, of course, without losing sight of the impact of Israeli policies against international activists. With all limpness in the movements, still, it can awaken its cells under one condition, that to keep a fine line with the Palestinians and the outside world to remain in the memory of everyone. Theoretically, the study concluded that transitional movements are existing international actors even if they are not in their traditional form, but their impact is clear and governed by international politics.

المقدمة

تأرجح حجم التضامن الدولي مع القضية الفلسطينية، أو بالأحرى مع الحقوق الوطنية والإنسانية للشعب الفلسطيني، عبر المراحل الزمنية، اتساعاً وانكماشاً؛ تبعاً لأسباب مختلفة، فضلاً عن اختلاف أسبابه ودوافعه وأشكاله. وربما يمكن أن نفترض أنّ عوامل داخلية تتعلق بالفلسطينيين، وطبيعة ومدى زخم الحركة الوطنية الفلسطينية، وبأوضاع الصراع، ومتغيرات العلاقات الدولية، وبالتالي موقع القضية الفلسطينية على الأجندة الدولية، أضف إلى ذلك عوامل تنظيمية وسياسية وفكرية مرتبطة بحركات وأطر التضامن الدولي ذاتها؛ هي التي سببت هذا التباين والتغير. كما بقي أثر حركات التضامن مع الشعب الفلسطيني، قضية مطروحة للبحث والنقاش، سواء أثرها المباشر على حكوماتها في الدول الأم، أو أثرها في المجتمع والمنظمات الدولية، أو في السياسات الإسرائيلية، وبالتالي أثرها في المحصلة في المسألة الفلسطينية.

إذاً، بينما كانت هناك دائماً مظاهر وحملات للتضامن مع الشعب الفلسطيني وقضيته، فإنّ هذه المظاهر والأطر التضامنية اختلفت من حقبة لأخرى؛ من زمن الحرب الباردة والكفاح المسلح الفلسطيني، إلى حرب لبنان عام 1982، والانتفاضة الأولى 1987، ثم قيام السلطة الوطنية الفلسطينية، وأخيراً اندلاع الانتفاضة الثانية، انتفاضة الأقصى عام 2000، حيث بدأت مرحلة جديدة في التضامن.

ستكون هذه الرسالة بمثابة دراسة حالة، التي اختير أن تكون لحالة حركة التضامن الدولية (International Solidarity Movement)، التي كانت أكبر حركة تضامن دولية في فلسطين، وأكثرها مؤسسية، وظهرت عقب انتفاضة الأقصى، عام 2000. هذه الحركة كانت مثار اهتمام واسع بسبب دورها داخل فلسطين، ودورها في الدول الغربية المختلفة. وقد أحدثت الحركة نقلات نوعية في النشاطات التضامنية، وفي التغطية الإعلامية للقضية الفلسطينية، خصوصاً في عصر وسائل التواصل الاجتماعي.

إلا أنّه، وكما سيتضح في هذه الدراسة، رغم نجاحات الحركة فلسطينيّاً وعالميّاً، إلا أنّ الحركة لم تبقَ فاعلة كما في بداية نشأتها، ولأسباب مختلفة عصفت بالحركة، تأثر نشاطها، وحتى مبادئها الأساسية.

خرج نشطاء شباب أصغر سنّاً من النشطاء القدامى، تبين لهم أن بعض المبادئ والسمات الأساسية التي اتسم بها عمل الحركة، هي التي ساهمت بتحجيم عمل الحركة وقلة فعاليتها، كما سيلي توضيحه. إضافة إلى أن الحراك الشعبي الفلسطيني تغير وتراجع، إن صح التعبير، الأمر الذي أثر أيضاً على أداء الحركة، حيث إن وجودها مرتبط ارتباطاً وثيقاً بوجود مقاومة فلسطينية شعبية على الأرض.

لا تقف أهمية دراسة حركة التضامن ISM، على الشأن الفلسطيني، بل تمتد لمحاولة فهم ديناميات وخصائص عمل الشبكات الدولية في عصر العولمة، واستخدام وسائل اجتماعية

وتكنولوجية حديثة في التنظيم والعمل. ولعل الأثر الكبير لهذه الحركات جعل منظّري السياسة والعلاقات الدولية، كما ستوضح الرسالة، يدركون أهميتها، حتى وإن لم تصنف كفواعل دولية بالمعنى التقليدي لهذا التعريف.

ستبدأ هذه الرسالة بإطار نظري يفسر الحركات العابرة للحدود الوطنية، التي تعتبر حركة التضامن الدولية جزءاً منها، من حيث تاريخها وفلسفتها وأهميتها بين الفواعل الدولية، وآلية عملها. وهذه الحركات، بأشكالها المختلفة، وجدت منذ زمن بعيد لتحقيق أهداف متشابهة، والتغير الذي طرأ عليها، منذ نهايات القرن العشرين، وبدايات القرن الواحد والعشرين، كان بفعل عوامل عدّة، منه ما أحدثته وسائل الإعلام والاتصال من تدخل في آلية عمل هذه الحركات وسرعة استجابتها وكيفية استغلالها للمعلومات.

الفصل الثاني من الرسالة يتضمن تتبعاً تاريخيّاً لأطر التضامن الدولي مع القضية الفلسطينية، حيث قسم الفصل لثلاث مراحل فضفاضة، وهي: التضامن الدولي مع الفلسطينيين خلال مرحلة الكفاح المسلح في ستينيات القرن الفائت، ومن ثم أثناء الانتفاضة الأولى نهاية الثمانينيات حتى توقيع اتفاقية أوسلو وعودة القيادة الفلسطينية إلى الأراضي الفلسطينية منتصف التسعينيات، وأخيراً مرحلة الانتفاضة الثانية، مطلع القرن الحالي، وحتى الآن. وسيجري عرض خصائص كل مرحلة وما ميزها؛ ففي المرحلة الأولى، شارك متضامنون دوليون في الكفاح المسلح مع الفلسطينيين، وفقدوا حياتهم من خلال تنفيذ عمليات نوعية، مع دافع أيديولوجي واضح في

زمن صعود الفكر الثوري اليساري. وفي الانتفاضة الأولى، تجدد التضامن الدولي، وتميزت تلك الفترة بظهور حركة نسائية إسرائيلية "سيدات في الأسود"، بدأت في إسرائيل وأصبحت عالمية. أما خلال الانتفاضة الثانية، وتحديداً في ذروتها، فتميزت تلك الفترة بحضور الأجانب للتضامن مع الفلسطينيين ومرافقتهم كنوع من الحماية، من خلال اتباع أساليب سلمية وغير عنيفة، إلى جانب تطور لافت، وهو ظهور حركة مقاطعة إسرائيل BDS.

فيما خصص الفصل الثالث لدراسة حركة التضامن الدولية ISM بشكل خاص؛ في تركيبتها وأدواتها وفلسفتها، وتمايزها عن حركات التضامن، من حيث طبيعة عضويتها والجنسيات المشاركة فيها، وآلية صنع القرار، والعنصر الفلسطيني داخلها، ومن حيث الأيديولوجيا، والأهداف. وستتضح في هذا الفصل حساسية العلاقة بين حركة التضامن الدولية وحركات فلسطينية أخرى، وتأكيد الجميع أن لا وجود لحركة التضامن الدولية دون وجود مقاومة شعبية فلسطينية. إضافة إلى ذلك، سيتضح في هذا الفصل أن الجيل الجديد في الحركة له تقييم مختلف عن جيلها القديم، حيث يعارض بعض المبادئ وآلية صنع القرار، وغيرها من النقاط المفصلية. وهنا ستتوقف الأطروحة عند التمييز بين حركات التضامن الجماهيرية، في داخل البلدان المختلفة، والتضامن الذي يأخذ الشكل "الفردي"، أو شكل الجماعات التي تأتي للتطوع ومراقبة النضال، أو الإسهام به، مع الفلسطينيين.

وفي الفصل الرابع والأخير، تعدد الباحثة الأسباب الرئيسية والثانوية التي أدت لتراجع الحركة، ويتضح أهمها بالانشقاقات التي جرت داخلها، وأصبحت هناك أكثر من جهة فلسطينية حاضنة للمتضامنين الدوليين، وبنية الحركة التي كانت تعتمد على عدم وجود هيكلية أو هرمية، وتراجع المقاومة الشعبية التي كانت، بمثابة العامل الذاتي الفلسطيني، الذي كان أساس عمل الحركة، وأخيراً وليس آخراً، السياسات الإسرائيلية تجاه المتضامنين، التي حدّت من أعدادهم، خاصة بعد الاعتقالات التي جرت لهم ومنع صدور تأشيرات السفر. وتختتم الدراسة بتقييم عام للحركة، وأين تقف الآن، وما هي الآفاق المتبقية أمامها.

مشكلة الدراسة

جسّد صعود حركة التضامن الدولية ISM، مع الشعب الفلسطيني، ظاهرة لافتة في مطلع القرن الواحد والعشرين، خصوصاً من حيث وسائل وأساليب عملها، ودوافعها، فهي تأتي في عصر تراجع الأيديولوجيا كسبب للتضامن العالمي، وتراجع دور الأحزاب العابر للحدود. ولم تجرِ دراسة هذه الحركة وخصائصها بشكل علمي، وبقدر ما شكل صعودها ظاهرة لفتت الإعلام، فإنّ تراجعها وأفولها، أو كمونها، تقريباً لا يجري الالتفات له، ولا للأسباب الكامنة في طبيعة مثل هذه الحركة، الي تجعل استمراريتها أمراً صعباً ومستبعداً، لأسباب بنيوية خاصة بالحركة ذاتها.

أسئلة الدراسة

سيكون سؤال البحث الرئيسي هو أسباب وسياقات صعود وتراجع حركة التضامن الدولية، ISM. وللإجابة عن هذا السؤال الرئيسي، ستدرس الباحثة عدداً من الأسئلة، أهمها:

- ما هي أهم العوامل التي أثرت على تأرجح التضامن الدولي مع الفلسطينيين؟
- ما هي السمات الأساسية لحركات التضامن الدولية، من حيث الهدف، والبنية، والتنظيم، وأدوات العمل؟
- ما هي طبيعة العلاقة بين الحركة الشعبية الفلسطينية في الميدان، وبين حركات التضامن الدولية، وتحديداً حركة التضامن الدولية ISM، وكيف تطورت هذه العلاقة؟

فرضية الدراسة

شكل ظهور حركة التضامن الدولية مع الشعب الفلسطيني مطلع القرن الواحد والعشرين انعكاساً وتفاعلاً مع حركة النضال الفلسطيني، ولكن في سياق مرحلة العولمة. وجاء تراجعها انعكاساً لتراجع النضال الفلسطيني الشعبي، والضعف الهيكلي الكامن في الحركات العابرة للحدود في عصر العولمة.

أهمية الدراسة

تلقى القضية الفلسطينية اهتماماً دوليّاً كبيراً، ويشكل الرأي العام أحد عوامل صنع القرار الخاص فيها، لذلك، تبرز حركات التضامن هذه كأحد عوامل صنع القرار أو التأثير به عالميّاً. وهناك حاجة ملحة لكتابة تاريخ هذه الحركات، ومن ثم تقييم دورها وما نتج عن نشاطاتها. وتساعد هذه الرسالة في فهم الأسباب التي قد تؤدي إلى اتساع نشاط هذه الجماعات أو تراجعها. كما تكمن أهمية الرسالة في أن الدراسات السابقة التي تناولت موضوع التضامن الدولي والحركات الناشطة فيه، لم تتطرق لإشكالية وفرضية هذه الدراسة، حول الفاعلية السياسية والاستمرارية في حركات عصر العولمة ووسائل التواصل الاجتماعي، بالنظر إلى خصائصها التنظيمية والفكرية.

المنهجية

اعتمدت هذه الرسالة في مصادرها، على المقابلات الشخصية مع الناشطين في حركات التضامن أو في النشاط الميداني، ومع الشخصيات السياسية/ الوطنية القريبة من النشاط الشعبي والمتضامنين الأجانب. كما تستند الدراسة لقراءة الحالات الميدانية في مسيرة حركة التضامن الدولية في فلسطين، منذ تشكلها وحتى يومنا هذا، من خلال تتبع تطورها وأهم إنجازاتها وإخفاقاتها. واعتمدت الدراسة على تحليل وثائق وأدبيات كتبها الناشطون، لأغراض النشر، أو حتى بغرض وضع خطط عمل وتنظيم لنشاطهم، مع التركيز على عرض حالات خاصة لأشخاص لعبوا دوراً كبيراً في هذه الحملات، أو بحملات ونشاطات خاصة برزت أثناء عمل هذه الحملة.

وإلى جانب المقابلات والتجربة الميدانية، تعود الدراسة للأدبيات السابقة حول تاريخ التضامن الدولي. ومن الناحية النظرية، تقوم الدراسة على تتبع خصائص وسمات الحركات العابرة للحدود في عصر العولمة والمرحلة الدولية التي ظهرت بعد الحرب الباردة.

مراجعة الأدبيات

تعتبر الأدبيات التي كتبت أو نشرت حول التضامن مع الفلسطينيين و"حركة التضامن الدولية"، محدودة، مقارنة بحجم التغطيات الإعلامية وحجم النشاطات التي قامت بها، وكذلك هناك محدودية في الأدبيات حول حركات التضامن أو الحركات العابرة للحدود الوطنية، الحديثة، والتغيرات التي طرأت عليها، ولا سيّما باللغة العربية. ولعل النقص في دراسة وتوثيق مسيرة التضامن الدولي، خاصة خلال الانتفاضة الثانية، جزء من النقص في دراسة تلك المرحلة ككل، التي كانت مفصلية في تاريخ الفلسطينيين وحركات التضامن الدولي، والحركات العابرة للحدود عموماً في هذه المرحلة.

ويمكن تقسيم الدراسات التي وردت إلى ثلاثة أقسام: الأول هو ما تحدث عن المقاومة الشعبية تحديداً، وتطرق لحركة التضامن الدولية كجزء من السياق المرافق، والقسم الثاني يتخصص بأحداث ووثائق حركة التضامن إبّان الانتفاضة الثانية، وأخيراً الدراسات النظرية التي تحدثت عن الحركات العابرة للحدود بشكل عام، وذكرت حركة التضامن الدولية ISM، كجزء من تلك الحركات.

لم تجب هذه الدراسات عن أسئلة هذا البحث بشكل وافٍ وعميق، فهي لم تُغطِّ هذه الظاهرة زمنيّاً، بمعنى عدم تغطية تطوراتها، ومساراتها، وعدم توفر إطار نظري وافٍ ومتكامل لفهمها.

وقد أدى الطابع التوثيقي العام للكتابات عن الحركة، خصوصاً في مرحلة صعودها الأولى، إلى عدم الالتفات إلى عملية التراجع في نشاط وحضور هذه الحركة (التي ستوضحها أجزاء هذه الدراسة)، التي أعقبت صعودها، فضلاً عن أنّ تاريخ الحركة طرح في فصول مقتضبة، وغلب عليها الطابع الوصفي، والانتقائي. كما لم يجر بحث تاريخ الحركة، في أي من الدراسات، التي جرى الاطّلاع عليها، بشكل مفصل وبتسلسل واضح، مع دراسة القضايا الإشكالية، مثل طبيعة العلاقة بين الحركة الشعبية الفلسطينية وحركة التضامن الدولية. وقد يعود سبب ذلك إلى أنه لا توجد دراسة علمية تستند لإطار نظري واضح، وضمن أسئلة نقدية تتجاوز الطابع التوثيقي، دون أن يُلغي هذا فائدة هذه الدراسات المعلوماتية والتأريخية.

من الدراسات التي تندرج تحت القسم الأول، أي التي تحدثت عن حركة التضامن الدولية ISM ضمن فصولها، ولكن المقصد الأساسي للمرجع لم يكن الحركة وإنما كان المقاومة الشعبية في فلسطين، كتاب محمد يوسف "بلعين.. في المقاومة الشعبية"[1]، حيث يقول يوسف ضمن ما جاء عن الحركة:

[1] محمد محمود يوسف، *بلعين.. في المقاومة الشعبية*، (رام الله: مكتب الشؤون الفكرية والدراسات (فتح)، 2007)

لقد أحدثت حركة التضامن الدولية خلال انتفاضة الأقصى، نقلة نوعية ومتقدمة، في مفهوم وطريقة التضامن الدولي الشعبي مع الشعب الفلسطيني، اعتمدت على المشاركة الفعلية والمباشرة في المقاومة، إلى جانب الدور الإعلامي، والتأثير على الرأي العام الدولي.

ولم يبدأ التضامن العالمي مع الفلسطينيين، من انتفاضة الأقصى، فقد كانت هناك مراحل ومحطات مهمة على هذا الصعيد، كما سيجري إيضاحه لاحقاً، لكن ربما تكثّف هذا التضامن لوجود حالة شعبية تحتاج لزخم أكبر. ولكن يوسف يتوقف عند جزئية مهمة، هي أنّ التركيز لدى حركة التضامن كان على العمل في فلسطين، بمواجهة الاحتلال. والوجه الآخر لهذه الحقيقة أنّ العمل في فلسطين لم يواكبه تحرك بذات الزخم من هذه الحركة للتأثير في سياسات بلدانها، إزاء الفلسطينيين، وبهذا ربما غامرت في أن تصبح جزءاً من حركة التحرر الفلسطيني، على حساب وظيفتها التضامنية.

كتاب آخر يندرج تحت القسم الأول، تناول التضامن في سياق المقاومة الشعبية، وهو كتاب مازن قمصية "المقاومة الشعبية في فلسطين تاريخ بالأمل والإنجاز"[2]، الذي صدر عام 2011، وسرد فيه تاريخ المقاومة الفلسطينية، السلمية منها وغير السلمية، وركز على تغير أشكال المقاومة الفلسطينية وأسباب ضعف الاستراتيجية الفلسطينية في ذلك. وفيما لا تزال الأسباب التي

[2] مازن قمصية، *المقاومة الشعبية في فلسطين تاريخ حافل بالأمل والإنجاز* (رام الله: مواطن؛ المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، 2011)

طرحها قمصية حول تذبذب المقاومة الشعبية التي أثرت على عمل حركة التضامن الدولية بطبيعة الحال، صالحة المفعول، إلا أنها تطورت وتغيرت، خاصة في السنتين الأخيرتين، حيث الانشقاقات الفلسطينية من حركة التضامن، وتراجع المقاومة الشعبية في فلسطين، أصبحت عوامل أكثر تأثيراً على الحركة، وحتى على كل التضامن الدولي في فلسطين. ولكن هذا الكتاب يشكل إضافة أخرى، تعكس حالة الخلط بين المقاومة الشعبية الفلسطينية، وحركة التضامن الدولية، وعدم وضوح الخطوط الفاصلة بين الفلسطيني والدولي.

وفي نفس القسم أيضاً، يمكن ضم مقالتيْ جمال جمعة بعنوان "التوسعية الإسرائيلية واستراتيجيات العمل الفلسطيني لمواجهتها"[3]، وخالد الحروب بعنوان "المقاومة الفلسطينية: التجربة التاريخية والانتقال إلى المقاومة الشعبية"[4]، اللتين وردتا ضمن كتاب "فلسطين: دروس الماضي تحديات الحاضر واستراتيجيات المستقبل". حيث تخصصت المقالتان في المقاومة الشعبية واستراتيجيات الرد الفلسطينية، ووردت حركة التضامن الدولية أو التضامن الدولي بشكله العام بشكل مقتضب ودون البحث في أسئلة هذه الدراسة. إلا أن الحروب توسع أكثر بمقالته وأعطى عمقاً نظريّاً لورقته، حيث ركز على ما سماها المقاومة المعولمة والخيارات اللاعنفية في النضال:

---

[3] جمال جمعة، *السياسات التوسعية الإسرائيلية واستراتيجيات العمل الفلسطيني لمواجهتها*، في "فلسطين: دروس الماضي تحديات الحاضر واستراتيجيات المستقبل"، (رام الله: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2012) ص70

[4] خالد الحروب، *المقاومة الفلسطينية: التجربة التاريخية والانتقال إلى المقاومة الشعبية*، في "فلسطين: دروس الماضي تحديات الحاضر واستراتيجيات المستقبل"، (رام الله: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2012)، ص92

تمتاز المقاومة المعولمة باتساع نقاط التأييد لها والمنخرطين فيها، وتشمل النخب والمنظمات غير الحكومية وبرلمانيين وسياسيين حاليين وسابقين. وطبيعتها اللاعنفية تساعد في جذب مزيد من المؤيدين، نظراً إلى أن تكلفتها غير باهظة، وبسبب معقولية أساليبها وصعوبة مواجهة منطقها. ولعل أحد أهم الشواهد الحديثة على اتساع نطاق التأييد والتضامن الدولي مع القضايا العادلة والمعبَّر عنها ضمن إطار مقاومة أو انتفاضة شعبية، هو الثورات العربية التي أطاحت بعدد من عتاة الدكتاتوريين العرب. فقد استطاعت هذه الثورات غير المسلحة أن تحقق، عبر النضال السلمي المدعوم بتأييد عالمي كاسح، ما لم يحلم بتحقيقه أكثر الثوريين صلابة وحماسة وتبنياً لأقصى وسائل الكفاح المسلح تأثيراً[5].

ويقصد الحروب بالمقاومة المعولمة هنا الحركات العابرة للحدود الوطنية، التي لمع نجمها في عصر ما بعد الحداثة، فهي فضفاضة وغير عنفية وأساليبها موضوعية وتكلفتها غير باهظة، وهذه الصفات هي ما تميز حركات التضامن الناشطة حول العالم حديثاً.

أما دراسات القسم الثاني، التي أخذت شكل تجميع لأحداث ووثائق تخص حركة التضامن ذاتها، في الجزء الأول من الانتفاضة الثانية (انتفاضة الأقصى عام 2000)، فهناك مرجعان باللغة الإنجليزية يوثقان التجارب الميدانية للحركة ويؤرخان لأهم فصول الحركة في الميدان: الأول

[5] المصدر السابق، ص92

"Peace Under Fire; Israel/ Palestine and the International Solidarity Movement"[6]، الذي حرره عدة مؤلفين، بعضهم كان جزءاً من حركة التضامن الدولية وصدر سنة 2014، ووثق تجربة الحركة في الميدان وتتبع أهم إنجازاتها والحملات المضادة التي تعرضت لها. والثاني، الذي ضم أيضاً من بين مؤلفيه أعضاء من حركة التضامن الدولية، فهو "Live from Palestine; International and Palestinian Direct Action Against the Israeli Occupation"[7] الذي صدر عام 2003، وتطرق للتضامن الدولي مع الفلسطينيين ودور الأجانب في القضية الفلسطينية وغيرها من المواضيع الأخرى التي تتعلق بموضوع الدراسة. على أهمية الكتابين وندرتهما من حيث إن الأدبيات قليلة جدّاً حول الحركة، خاصة من قبل أعضائها السابقين، إلا أن الكتابين عدا عن أنهما غطيا مرحلة زمنية مبكرة، فإنهما لم يأخذا شكلاً غير تجميع مقالات ومقابلات أو تجارب شخصية مقتضبة كتبت بناء على تجربة شخصية ولم تؤطر تحت أي تحليلات نظرية.

وأخيراً القسم الثالث، وهي الدراسات النظرية التي تحدثت عن الحركات العابرة للحدود بشكل عام، وذكرت حركة التضامن الدولية ISM كجزء من تلك الحركات. حيث يمكن الإشارة بشكل خاص إلى كتابين: "People Power: Unarmed Resistance and Global

---

[6] *Peace under Fire*, edited Josie Sanderrock and others (UK: Verso, 2004)

[7] Nancy Stohlman*, Live from Palestine; International and Palestinian Direct Action Against the Israeli Occupation*, edited by Nancy Stohlman and Laurieann Aladin, (Cambridge, MA: South End Pess, 2003)

"Solidarityو "Activists Beyond Boarders"، اللذين يقدمان أساساً نظريّاً مهمّاً، (استفادت منه هذه الأطروحة)، وتضمن الكتابان تتبعاً تاريخيّاً لأهم وأوضح الحركات الانتقالية العابرة للحدود القومية في العالم، والصفات المشتركة وآلية عملها ومن هم نشطاؤها وأدوات العمل وغيرها من الجوانب الأخرى. كما كان لحركة التضامن الدولية، مع الفلسطينيين، نصيب في الكتابين، على أنّ تناول هذه الحركة اعتنى باستكشاف الحركة، وتقديم نبذة تاريخية عنها بشكل مقتضب، وتقديم صفاتها العامة دون تقديم تحليل بنيوي للحركة. لا يتوازى العمق المحدود في تناول الحالة الفلسطينية (التضامن مع الفلسطينيين) في هذين الكتابين، مع أهمية استخلاصات الكتابين النظرية العامة. وعلى سبيل المثال، يركز Luis Enrique Eguren في الكتاب الأول، على النمو اللافت في أعداد المنظمات غير الحكومية والشبكات العابرة للحدود الوطنية، ويقول:

> ومع أنه من الصعب قياس أثرها، إلا أنه من الصعب تفسير التغيرات التي حصلت على الأعراف الدولية فيما يتعلق بحقوق الإنسان أو البيئة، دون الإشارة لدور المنظمات غير الحكومية والحركات الاجتماعية العابرة للحدود الوطنية. وهذه التغيرات في الأعراف يمكن في المقابل استخدامها في الضغط على الحكومات للتصرف إلى ما هو أبعد من مصالحها الأمنية[8].

[8] Luis Enrique Eguren, *Developing Strategy for Accompaniment*, in *People Power; Unarmed Resistance and Global Solidarity*, edited by Howard Clark. First Printing (London: Pluto Press 2009), p.98

وهذا الطرح مهم جدّاً فيما يتعلق بكيفية قياس الأثر المباشر والحقيقي لما تحدثه هذه الحركات في العالم، وعلى سبيل المثال، قد يكون من السهل قياس أثر وجود متضامنين دوليين في الفعاليات الشعبية في فلسطين، ولكن صعب جدّاً قياس أثر هؤلاء المتضامنين المباشر على دولهم الأم، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار أن الضغط على الحكومات عادة ما يأتي من التنظيمات والأحزاب، أكثر من مجموعة من المتضامنين غير مؤدلجة أو لا تنتمي لحزب.

تسعى هذه الأطروحة لتقديم دراسة تغطي مراحل زمنية أكثر امتداداً مما تناولته الدراسات المتوافرة، وإلى الخروج من إطار التوثيق الانتقائي لتجارب أشخاص ومحطات بعينها، إلى إجراء دراسة شاملة للتجربة، فضلاً عن هذا، تخرج هذه الدراسة من الجانب السردي التاريخي إلى التحليل العلمي، الذي يضع حركة التضامن الدولية مع الشعب الفلسطيني، في إطار الحركات العابرة للحدود في عصر العولمة.

الفصل الأول

الشبكات والحركات العابرة للحدود الوطنية

"إطار نظري"

درج في العلوم السياسية والدولية تطوير واستخدام مصطلحات حديثة تصف ظواهر اجتماعية وسياسية ليس من الضرورة أن تكون جديدة، بل ربما تكون موجودة منذ قرون سابقة، إلا أنها أُطرت وفُسرت وتوضّحت أكثر في دراسات حديثة، ربما لازدياد نسبي في أهمية هذه الظواهر. ولعل أحد الأمثلة على ذلك ما يتعلق بظواهر الفواعل الدولية غير الحكومية، وتحديداً أحد أنواعها، الشبكات أو الحركات العابرة للحدود الوطنية "Transitional Movements". ولعل من المهم تتبع السمات والنماذج الراهنة لمثل هذه الحركات العابرة للحدود، باعتبار حركة التضامن الدولية مع الشعب الفلسطيني، نموذجاً لمثل هذه الحركات.

المتتبع لهذه الشبكات سيلحظ نقصاً في التأطير النظري لها، وخاصة الحديثة منها، بعد الحرب الباردة، وانهيار الاتحاد السوفياتي عام 1991، وبدء عصر العولمة وانتشار تكنولوجيا الاتصال العابر للحدود، بعد ذلك بسنوات قليلة.

سيتبين في هذا الفصل والفصول اللاحقة، أنّ ضعف مركزية الحركات الجديدة، هو من أهم سمات هذه الحركات، والمقصود هنا، محدودية شروط ومتطلبات العضوية، وعدم وجود هرمية

تنظيمية فيها، بل وعدم وجود كيان قانوني مؤسسي لها في كثير من الحالات، فهي حركات مرنة تتسع للجميع، وتستخدم كل وسائل الاتصال والتواصل المتاحة، ويمكن الانتساب إليها والخروج منها بسهولة ودون قيود. ولعل هذه "الهُلامية" واحد من أسباب نقص الدراسات التي تحاول التأصيل النظري لهذا النوع من الحركات.

تشير المؤلفتان كيك وسكينك[9]، لهذه السمة السابقة، بالقول إنّ تجاهل علماء السياسة لهذه الحركات والشبكات، يعود لأنها لا تمتلك القوة بالمعنى التقليدي، وتقولان إنّ "جوهر نشاط الشبكات هو إنتاج وتبادل واستراتيجيات استخدام المعلومات، وهذه القدرة قد تبدو غير منطقية أو مهمة أمام القوة الاقتصادية والسياسية والعسكرية التي تمتلكها الفواعل العالمية".[10] ولكن، المؤلفتين تشيران إلى أنّ القدرة على

> التغلب على قمع المعلومات المتعمد الذي يخفي انتهاكات كثيرة للسلطة، تمكّن الشبكات من أن تساعد في إعادة تأطير نقاشات دولية ومحلية. وعندما تنجح الشبكات، فإنها من بين أهم المصادر للأفكار والمعايير والهويات الجديدة في

---

[9] **مارجريت كيك**: محاضرة برتبة بروفيسور في دائرة العلوم السياسية في جامعة جون هوبكنز، تدرس سياسات المقارنة وسياسة أمريكا اللاتينية وسياسات البيئة. تركز منشوراتها وأبحاثها على النشاط والتنظيم والاستخدام الخلاق من قبل المنظمين للفرص غير المتوقعة. للمزيد، يمكن الاطلاع على الرابط التالي: https://goo.gl/W3L4jv
كاثرين سيكينك: محاضرة في كلية هارفرد كينيدي التابعة لجامعة هارفرد، مهتمة بالمؤسسات والأعراف الدولية، والشبكات العابرة للحدود الوطنية، وأثر قوانين وسياسات حقوق الإنسان والعدالة الانتقالية. للمزيد، يمكن الاطلاع على الرابط التالي: https://goo.gl/4rmVjr

[10] Margaret E. Keck, Kathryn Sikkink, *Activists beyond Borders; Advocacy Networks in International Politics*, first printing (United States of America: Cornell University Press, 1998), P x

النظام الدولي. وفي نفس الوقت، فالمشاركة في شبكات عابرة للحدود الوطنية يمكن أن تحسن بشكل كبير المصادر السياسية المتاحة للفاعلين المحليين[11].

يتناول هذا الفصل عرضا مقتضباً لتاريخ شبكات التضامن العابرة للحدود وكيف بدأت وتغيرت عبر الزمان، كما سيتطرق إلى سمات هذه الشبكات وهيكليتها وطرق عملها، حتى يصل لتعريف هذه الشبكات، واختلافها عن حركات أخرى عابرة للحدود.

1-1 دراسة شبكات التضامن

في نهاية القرن العشرين، دخل إلى السياسة العالمية إلى جانب الدول، العديد من الفواعل غير الحكومية، إلا أنها تتفاعل بعضها مع بعض ومع الدول ومع المؤسسات الدولية. بعض هذه الفواعل يضم فاعلين اقتصاديين وشركات، وبعضها شبكات من العلماء والخبراء يتشاركون بأفكار واحدة لدعم جهودهم في التأثير على السياسات، وهناك شبكات عابرة للحدود الوطنية تتشكل من نشطاء يمكن تمييزهم من مركزية أفكارهم وقيمهم المبدئية المتشابهة التي حفزتهم على التشكل كشبكة. وعلى الرغم من اختلاف المطالب والقضايا التي تتبناها الشبكات، إلا أنها تتشابه في عدة جوانب مهمة: مركزية أفكارها والقيم المبدئية، والإيمان بأن الأفراد يمكنهم إحداث فرق، والاستخدام الخلّاق للمعلومات، وتوظيف الجهات غير الحكومية الفاعلة لاستراتيجيات سياسية متطورة في استهداف حملاتها.

[11] Ibid, P x

الجديد في هذه الشبكات هو قدرة هذه الفواعل الدولية غير التقليدية على تجييش المعلومات بشكل استراتيجي للمساعدة في خلق قضايا جديدة، وللحث والضغط وكسب نفوذ منظمات أكثر قوة وحكومات، علماً بأن النشطاء في هذه الشبكات لا يحاولون التأثير على نتائج السياسات، وإنما تغيير شروط وطبيعة النقاش الذي ينتج السياسات. ومع أنهم لا ينجحون دائماً، إلا أنهم يصبحون –وبشكل متزايد– لاعبين فاعلين في نقاش السياسات. ومن الواضح أن هذه الشبكات في تزايد مستمر، وهدفها تغيير سلوك الدول والمنظمات الدولية. وفعليّاً، فإنها تأتي بأفكار ومعايير وخطابات جديدة لنقاش السياسات، وتعمل كمصدر للمعلومات والشهادات. كما أن نشطاء هذه الحركات يروجون لتطبيق المعايير، من خلال الضغط على الفواعل المستهدفة لتبني سياسات جديدة، ومن خلال مراقبة الامتثال للمعايير الدولية[12].

وتعمل الشبكات بشكل أفضل عندما تكون كثيفة (من حيث كثافة وانتشار المعلومات بين مجموعات الشبكة وتغطيتها للقضايا الأساسية)، ولديها عدة فاعلين، وعلاقات قوية بين مجموعات الشبكة، وتدفق موثوق للمعلومات.

وتشير كيك وسكينك إلى ظهور قنوات اتصال متعددة بين المجتمعات، ينتج عنها عدم وضوح للسياسات المحلية والدولية، وتتطرقان تحديداً إلى تصنيف روبرت كيوهان وجوزيف ناي ومجموعة من المحللين لـ New Transnationalism أو ما يمكن تسميتها الجماعات العابرة للقوميات

[12] ibid, p.1-3

الجديدة، وأنهم يشيرون بذلك إلى العلاقات ضمن عدة فاعلين انتقاليين؛ كالشركات المتعددة الجنسيات، والكنيسة الكاثوليكية، والمنظمات العلمية الدولية، ومجموعات النشطاء، حيث إن كل هذه العلاقات يمكن وصفها بشكل من أشكال الشبكات العابرة للحدود الوطنية، ولكنهما تميزان بين ثلاث فئات على أساس دوافعها؛ تلك التي لها أهداف أساسية كالبنوك والشركات المتعددة الجنسيات؛ وأولئك الذين دوافعهم أساسها الأفكار غير الرسمية المشتركة كالمجموعات العلمية والمجتمعات المعرفية؛ وأولئك الذين دوافعهم أساسها الأفكار المبدئية والقيم المشتركة، مثل شبكات المناصرة العابرة للحدود الوطنية. وهذه التصنيفات تتوافق مع أشكال مختلفة من الموارد السياسية وأنماط النفوذ. ففي العلاقات العابرة للقوميات بين الذين يتشاركون بأهداف أساسية، يُتوقع أن تحمل الموارد الاقتصادية الثقل، وفي المجتمعات المعرفية، فإن الخبرات التقنية والقدرة على إقناع صناع القرار بأهميتهم، هي الأساس. أما في شبكات المناصرة، فإن المهم هو الاستخدام الاستراتيجي للمعلومات. وما يميز هذه الشبكات، برأيهما، مركزية الأفكار المبدئية، واستراتيجياتها تهدف لاستخدام المعلومات والمعتقدات لتحفيز العمل السياسي، واستخدام النفوذ من أجل كسب دعم المؤسسات القوية[13].

[13] Ibid, p.29-30

2-1 تاريخ شبكات التضامن:

يعود تاريخ شبكات التضامن إلى زمن بعيد مع تغير أشكالها وسماتها وفعاليتها، وتشير القراءات حول هذا الموضوع إلى أن حركة مناهضة العبودية هي أول وأقدم حركة عالمية في العالم، تلتها الحركات النسوية في مراحل مختلفة، والحركات العمالية، ومن ثم الحركات المناهضة للسياسات المالية المهيمنة، وغيرها من الحركات المتخصصة بكل قضايا العالم. وتعود حركة المناهضة للعبودية للعام 1839، وتعرف نفسها بأنها أقدم منظمة عالمية لحقوق الإنسان، ونشطت في أماكن متعددة حول العالم واستطاعت التأثير على استصدار قرارات أممية[14] تتعلق بمناهضة العبودية[15].

إن حركات الشعوب حول العالم، بدأت بالتحرك لإعادة السيطرة على حياتها، من أجل إزاحة الأنظمة الحاكمة غير الديمقراطية، ومقاومة القوى العالمية، والاحتجاج على أوضاعهم المعيشية، وحماية البيئة، أو للتأكيد على حقهم في تقرير المصير. وفي السابق، لجأت الحركات

---

[14] في العام 1807، ألغي قانون تجارة الرقيق عبر السفن البريطانية نحو الأمريكيتين بصدور قانون من برلمان المملكة المتحدة الذي ألغيت بموجبه تجارة العبيد عبر الأطلسي. وفي العام 1863، جاء إعلان تحرير العبيد الذي أعلنه الرئيس الأمريكي أبراهام لينكون، غيّر خلالها الوضع القانوني الفيدرالي لأكثر من 3 ملايين مستعبد في الجنوب الأمريكي. للمزيد: http://bit.ly/2FAfeGd
وفي العام 1926، عقدت عصبة الأمم مؤتمر العبودية الدولي، حيث تقرر خلاله منع تجارة الرق وإلغاء العبودية بكل أشكالها، فيما تأكدت هذه القرارات في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان. للمزيد: http://bit.ly/1GRxWFh
وأخيراً، خصصت الأمم المتحدة يوم 22 آذار من كل سنة، اليوم الدولي لإحياء ذكرى ضحايا الرق وتجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي. ويوم 23 آب، اليوم الدولي لإحياء ذكرى تجارة الرقيق وذكرى إلغائها، ونهاية، اليوم الثاني من كانون الأول، اليوم الدولي لإلغاء الرق. للمزيد: http://bit.ly/2zx64Kn

[15] Anti-Slavery, retrieved in 7/7/2017 on https://goo.gl/9NMFKT

إلى حرب العصابات وبعضها لا يزال يعتمد على ذلك، إلا أن النضال في مراحل ما بعد الحرب الباردة، وفي مرحلة العولمة، يعتمد أقل على الأسلحة مقابل أساليب غير مسلحة، كالاحتجاجات ومواجهة المعلومات[16] وطرح بدائل جديدة للشيء الذي يرفضونه. وتسعى هذه التحركات وبشكل متزايد إلى الحصول على دعم دولي؛ ليس فقط من الحكومات أو المؤسسات الحكومية، وإنما أيضاً من شبكات المواطنين الفاعلين، حيث يبحثون عن إعلاء صوتهم بمساعدة نشطاء في دول أخرى. وفي المقابل، تستجيب الحركات العابرة للحدود الوطنية لهذا النداء من خلال تعزيز قوة المكافحة للجماعات المحلية التي تقاوم دولة أو هيمنة شركات على سبيل المثال. وعادة ما تعتمد الأساليب أو الطرق التي تتبعها هذه الحركات على استراتيجية الحركة المحلية، خاصة في مرحلة تطور الحركة المحلية، لتسهل عليها تثبيت استراتيجيتها وخطة عملها. وعادة ما تكون هذه المساعدة على شكل ربط الشبكة المحلية بشبكات عالمية أخرى ومشاركة الخبرات، أو من خلال إعطاء تدريبات على أساليب معينة، أو حتى الحضور لمرافقة الحركة المحلية وتقديم الحماية مثلاً[17].

[16] مكافحة المعلومات أو Counter Information، مصطلح يستخدم كثيراً في قراءات حركات التضامن والحركات الشعبية، وهو أحد الأساليب التي تستخدم في المواجهة إلى جانب أساليب أخرى. ويعتمد هذا الأسلوب على عرض وتقديم معلومات تدعم القضية التي تناضل من أجلها أي جماعة، كتقديم معلومات حول تأثير فعل معين على البيئة أو تقديم معلومات عن الآثار الاقتصادية الناجمة عن بناء جدار الفصل العنصري مثلاً. وفعلياً، هو مكافحة أي سياسة أو فعل معين، من خلال تقديم المعلومات بالحجج والبراهين والدلائل، تثبت سوء السياسة أو الفعل

[17] Howard Clark *(ed.), People Power, Unarmed Resistance and Global Solidarity*, (London: Plutu 2009) p. 7-8

ويقول هوارد كلارك[18]:

> إن النشاط العابر للحدود الوطنية ليس جديداً ولا مماثلاً لمفهوم المواطنة العالمية. العديد من أشكال التضامن الدولي بما في ذلك الاحتجاجات والإضرابات والمقاطعة، ميّزت العديد من الحملات في النصف الأول من القرن العشرين وما قبله، كمكافحة الرق، ونضالات العمال، والحركات النسوية. وقاد النمو الضخم في أعداد المنظمات غير الحكومية العابرة للحدود الوطنية في النصف الثاني من القرن العشرين، المراقبين إلى اقتراح ظهور "قوة جديدة في السياسة الدولية. مغيّرة للأعراف والممارسات الدولية"، وهذه التغيرات يمكن رؤيتها على عدة مستويات، كانتشار المناصرة العابرة للحدود الوطنية، وانتشار الشبكات وكثافة علاقاتها، ونتيجة التغيرات الكبيرة في المعايير الدولية[19].

ويسترجع كلارك عدداً من المبادرات التي اكتسبت زخماً دولياً؛ مثل حركة تحرير المرأة، وأصدقاء الأرض، عام 1968، التي أعقبها تشكل منظمة السلام الأخضر، وظهور جماعات العالم الثالث المناهضة للمساعدات الإنمائية وشبكات التجارة العادلة. وكذلك منظمة البقاء الدولية التي ظهرت عام 1969، ردّاً على التهديدات التي قد تحيط بالشعوب الأصلية لدول، وتهديد هويتها. ويشير أيضاً إلى تظاهرات ستون وول في سان فرانسيسكو عام 1969، التي أفضت إلى حركات تحرير

---

[18] هاورد كلارك: باحث في المقاومة المدنية وناشط سلام ويترأس منظمة "مقاومة الحرب الدولية"

[19] Ibid, p.11

المثليين. وهناك تجربة الحرب الأهلية النيجيرية التي أفضت لتأسيس منظمة أطباء بلا حدود عام 1971، وصولاً إلى مبادرة[20] "فكّر عالمياً، افعل محلياً"[21].

ومن خلال تتبع مسار هذه الحركات وتطورها عبر الزمن، يمكن ملاحظة التحولات الكبيرة في المعايير الدولية، خاصة بعد انتهاء الحرب الباردة، حيث انعكست هذه التحولات في تغيرات دستورية كحقوق السكان الأصليين في كولومبيا وفي اتفاقيات دولية. كما يلاحظ أن التحركات عادة ما تكون نوعين: تلك التي تأتي من المواطنين إلى أعلى الهرم، والثانية التحركات التي تأتي من أعلى الهرم إلى أسفله. مع ملاحظة أنّ كثيراً من التحركات التي تأتي من الأعلى، وتنجح فعلاً في تبني قضية ما، مثلما يحدث عند إعلان الأمم المتحدة بناءً على استجابة لحملة ما، عقد مؤتمر أو تخصيص يوم لقضية معينة، أو تعلن يوماً عالمياً لاهتمام معين، فإنّ المحرك الرئيسي لهذه التغيّرات يكون عادة نشاط المواطنين حول العالم[22].

ومما لا شك فيه، أن أبرز التجارب العابرة للحدود الوطنية في النصف الثاني من القرن العشرين، هي النضال ضد نظام الفصل العنصري، والمتمثلة بالحركة العالمية لمناهضة الفصل

---

[20] مفهوم أو مبدأ عالمي يعزى لعالم البيولوجيا وعلم الاجتماع الأسكتلندي سير باترك جيدس، الذي كان رائداً أيضاً في تخطيط المدن. وهو مبدأ يدعو الأشخاص للتفكير بأثر أفعالهم على العالم ككل وليس محلياً فقط. ومع أن المفهوم كان متعلقاً بالسياسات البيئية بداية الأمر، إلا أنه أصبح الآن يطبق في شتى قطاعات العمل حول العالم. فمثلاً يجب على المدن أن تفكر بأثر مشاريع الطاقة التي تنوي تطبيقها عالمياً.

[21] Clark, *people's power*, p.12

[22] Ibid.

العنصري. وهي حركة شعبية اعتمدت على دعم العديد من الحكومات، وترجمت خطتها على شكل حملات مقاطعة وفرض للعقوبات شاركت فيها الجامعات والكنائس والنقابات والبلديات.

وعبر التاريخ، استهدفت الحملات العابرة للحدود الوطنية، المؤسسات الدولية، والدول، والشركات، أو جميعها معاً، في بعض الحالات. وسواء نجحوا أو لم ينجحوا في تحصيل بعض المطالب، إلا أن هذه الحملات –إجمالاً–استطاعت بناء قدرات المجموعات على التفاعل خارج حدود بلدانها حول عدة قضايا، ولعبت دوراً مؤثراً في النقاش حول عدد من المعايير الدولية المتفق عليها[23].

ونهاية، يتبين أن التضامن بشكله العام قديم، وله أشكال مختلفة، إنما ما يجمعه هو إدراك مؤسسيه لأثره وفعاليته في إحداث التغيير الذي ينشدونه، وأهمية مخاطبة العالم للتعزيز من كثافة قضيتهم. وبغض النظر عن اختلاف القضية، إلا أن آلية عمل هذه الحركات قائمة على الجمع الشعبي وقدرته على التشبيك والتواصل، والأهم من ذلك، الاستراتيجية المحلية بالدرجة الأولى. فيما أثر ظهور الحركات العابرة للحدود الوطنية، في تغيير المعايير الدولية المتعلقة بالقضايا التي نشأت حركات عالمية لها.

[23] Ibid, p.13-14

1-3 آلية عمل الحركات التضامنية العابرة للحدود

سيفصل هذا الجزء آليات العمل التي تتبعها الحركات العابرة للحدود الوطنية التي ذكرت سابقاً دون توضيح، من أجل تحقيق أهدافها والتأثير على الجهات المعنية، وكيف تستغل الوسائل المتاحة أمامها في إتمام مهماتها وجذب المزيد من النشطاء إليها، وتحصيل نتائج ملموسة فيما يتعلق بنضالها. هذا الفصل تحديداً سيجري الاستفادة منه في الفصل الثالث والمخصص لحركة التضامن الدولية، مع الفلسطينيين، حيث استخدم نشطاء هذه الحركة نفس الآليات والوسائل التي ستذكر أدناه. وسيكون من الواضح أن أساس عمل كل الحركات حول العالم هو المعلومات والاتصال، أي كيف تستخدم المعلومة وكيف يتم إيصالها حول العالم.

1-3 – أ المعلومات

تتشابه آلية عمل هذه الشبكات مع تلك التي تتبناها مجموعات سياسية أخرى أو حركات اجتماعية، إلا أن قوتهم غير تقليدية كغيرهم، حيث يتعين عليهم استخدام قوة معلوماتهم وأفكارهم واستراتيجيتهم، لتغيير المعلومات وقيم السياقات التي تقوم بموجبها الدولة بوضع سياستها. ويمكن إدراج معظم ما تقوم به الشبكات تحت الإقناع أو التنشئة الاجتماعية، ولكن هذه العملية لا تخلو من الصراع. فالإقناع والتنشئة الاجتماعية ليسا فقط المحاججة مع المعارضين، إنما أيضا تشكيل الضغط ولَي الأذرع وتشجيع العقوبات والتشهير[24].

[24] Keck and Sikkink, *Activists*, P. 16

وتتنوع التكتيكات التي تستخدمها الشبكات خلال جهودها في الإقناع والتنشئة الاجتماعية والضغط، ومنها:

- القدرة على إنتاج معلومات قابلة للاستخدام سياسياً بشكل سريع وموثوق.
- تحريك هذه المعلومات حيث سيكون لها تأثير أكبر.
- القدرة على استخدام الرموز والأعمال والقصص التي تعبر عن موقف الجمهور، والذي عادة ما يكون بعيداً.
- القدرة على دعوة الجهات الفاعلة القوية للتأثير على الوضع، حيث من المحتمل أن الأعضاء الضعفاء في الشبكة ليس لديهم تأثير.
- وأخيراً، الجهود لدفع الجهات الفاعلة القوية إلى الالتزام بسياساتهم ومبادئهم المعلنة مسبقاً[25].

ومما لا شك فيه أن الإعلام شريك مهم في سياسة المعلومات للشبكات؛ فمن أجل الوصول إلى جمهور أوسع، تسعى الشبكات إلى جذب انتباه الصحافة، فبعض الصحفيين المتعاطفين قد يصبحون أعضاء في الحركة. كما أن بعض الوكالات الإعلامية توفر منابر للتأثير على صناع القرار على المدى الطويل، وبالتالي كلما استغلت هذه الشبكات الإعلام سرعت من أهدافها[26].

[25] Ibid.
[26] Ibid, p. 22

1-3-ب مواجهة المعلومات والكيد المرتد

تعتبر المعلومات الموثوقة أساس السلطة الأخلاقية في الشبكات، وتقوم عدة مجموعات برصد قضايا ذات اهتمام دولي، كمنظمة العفو الدولية "آمنستي"، التي وضعت معايير للمعلومات المحايدة وأشاعت نمطاً واحداً للحملات، على شكل مجموعات محلية تتبنى سجناء معينين أو قضايا وتتابعها. هذه المراقبة مهمة خاصة لمجموعات المناصرة، لتبين عدم ملاءمة المعايير الحالية أو فشل الامتثال لها. كما أنها تحافظ على جعل شبكات النشطاء في حالة التأهب، أي أنهم مدركون وقادرون على تحديث أنفسهم بسرعة إزاء تطور الأوضاع التي تهمهم، وقادرون بشكل أفضل على الاستجابة سريعاً عند الحاجة.

كما أن شبكة الإنترنت أحدثت ثورة في المشهد أمام النشطاء، حيث لم يعد من الممكن وقف تسريب معلومات يريد أصحاب القوة إخفاءها. وكوسيلة قوية للحشد، توفر شبكة الإنترنت أشكالاً جديدة من أشكال الاحتجاج المعمول بها (ككتابة الرسائل، والعرائض، والجرافيتي)، لكنها الآن على نطاق أسرع وأحدث[27].

وتعتبر مواجهة المعلومات والإنترنت، عناصر ضرورية في فعالية شبكات المناصرة العابرة للحدود الوطنية، وتحديداً في تحقيق ما أصبح يسمى "The boomerang effect" أو "الكيد المرتد"، أو بمعنى آخر الخطة أو الفعل الذي

[27] Clark, *people power*, p.15-16

يعود على صاحبه. عندما لا تحرز حملة محلية أي تقدم بسبب القمع أو بسبب عدم استجابة المجتمع، فإنها ترمي بـ"الكيد" باتجاه العالم. وقد يتضمن ذلك التشهير بهدف الحملة بناء على أساس أن الكيد سيعود ويضرب الهدف بالضغط الدولي، سواء من القاعدة الرئيسية لشركة ما، أو من حلفاء دوليين لنظام حاكم، أو من خلال حشد للمواطنين عابر للحدود الدولية. وكمثال جيد على كيف يعمل تأثير "الكيد المرتد"، نلاحظ آلية تنسيق منظمة السلام الأخضر للضغط الدولي؛ فالمجموعات المحلية تلجأ للمنظمة من أجل تبني قضاياها، وفي حال وضعت المنظمة القضية على سلم أولوياتها، فإن حملتها من المرجح أن تدمج عدة مستويات وأشكال للعمل: أولاً، الضغط على هيئات رفيعة المستوى ورفع قضايا في المحاكم وعرض دلائل علمية في محاكم الخبراء. ثانياً، حملات إعلامية مباشرة، وثالثاً، حشد أعضائها في كتابة رسائل جماعية والاستفتاءات، وأنشطة أخرى[28].

منظمة السلام الأخضر، وبسبب خبرتها الطويلة بمثل هذه الحملات، توفر مثالاً مركزاً لتأثير الكيد المرتد في نشاط واحد، ولكن الراجح أكثر أن يأخذ تأثير الكيد أشكالاً منتشرة تتضمن سلاسل من العلاقات والتحالفات مع مجموعات، بما في ذلك منظمات غير حكومية وحركات، أو

[28] Ibid.

من خلال حشد سريع عبر الإنترنت. علما بأن مسار الكيد قد يمر عبر منظمات غير حكومية ودوائر انتخابية للنشطاء، وفي الإعلام، وفي دوائر الحكومة وفي مؤسسات حكومية دولية، قبل أن يعود بنتيجة للنقطة التي أُلقيت منه. كما أن تأثير الكيد يفسر بعض المشاكل في التضامن العابر للحدود الوطنية، حيث تقول الباحثة في الحركة الاجتماعية سيدني تارو، إن الكيد يعمل بشكل أفضل إذا ألقي إلى الأعلى من ناحية التسلسل الهرمي للسلطة في العالم، بدلاً من رميه بشكل أفقي نحو حملات متوازية بعيدة عن مراكز السلطة[29].

1-3-ت المرافقة والتواجد الدولي على الأرض

إن أساس عمل الشبكات العابرة للحدود الوطنية، وتحديداً تلك التي تعمل في مناطق توجد فيها مقاومة، أي تلك الصراعات التي تكون فيها القوة والسلطة بين الأطراف المشاركة، غير متكافئة ولا متماثلة، هو المرافقة. لأن الهدف العام للتواجد الدولي هو تحويل الصراع لتوسيع أو تحسين قدرة أولئك الذين يناضلون ليتفاوضوا من أجل أهدافهم مع السلطات، أو فاعلين آخرين مسؤولين عن العدوان وانتهاك الحقوق. وهناك نقطتان ضروريتان لكي تكون المرافقة فعالة:

- العمل ضمن إطار معياري واضح مقبول على الصعيد الدولي، مثل مجموعة من المعايير الدولية وحقوق الإنسان.

[29] ibid, p.16

- أن تبقى المقاومة الشعبية بصفتها غير العنفية[30].

أشار براين مارتن إلى دراسة لليام ماهوني ولويس انريكي، حول المرافقة الدولية، يقولان فيها إنها تعمل من خلال الردع؛ حين يقرر المعتدون أن الآثار السلبية بسبب الدعاية السيئة والضغط الدولي تفوق إيجابيات مهاجمة النشطاء. كما أن للمرافقة أن توسع الفضاء السياسي المتاح للنشطاء وتحد من الأفعال التي ينوي اتخاذها المعتدون، ويعتبرونها ضمن "التكلفة" المقبولة. ويطرح مارتن فهماً أكثر فعالية لفهم المرافقة وهو ما سماه "Back Fire" أي "النتائج العكسية"، حيث بنى فهمه على أساس عملية تسمى الجيو جيتسو السياسية (Political jiu-jitsu) ومستنداً للباحث في اللاعنف، جيني شارب. شارب، الذي درس المئات من الحملات والفعاليات، ووجد أنه عندما كانت هناك هجمات عنيفة ضد النشطاء السلميين، أتى ذلك بنتائج عكسية على المعتدي، مشجعة المزيد من الناس ليصبحوا نشطاء، ومولدة المزيد من الدعم للنشطاء من الأطراف الثالثة، ومضعفة التزام بعض الأعضاء في مجموعة المعتدي. وهذا حصل في روسيا سنة 1905 كنتيجة لقتل متظاهرين، وفي الهند سنة 1930 كنتيجة لضرب المتظاهرين، وفي جنوب أفريقيا سنة 1960 كنتيجة لقتل متظاهرين من قبل الشرطة. وفي حدث أحدث، تأثير الجيو جيتسو حصل عام 1991، في تيمور الشرقية بعد المجزرة التي ارتكبتها القوات الإندونيسية

[30] Eguren, *Developing Strategy*, p.101

ضد المتظاهرين. في كل حادثة، كان للشرطة أو القوات تفوق كبير في القوة، ولكن بممارستها ضد متظاهرين غير عنيفين، فإنهم في الواقع عززوا مواقع خصومهم[31].

إلا أن نموذج الـ"Back Fire"، يذهب إلى ما بعد نظرية الجيو جيتسو السياسية، والفرق المهم هنا أن الأولى تركز على الأساليب التي يستخدمها مرتكبو الظلم لمنع الغضب المحلي أو الدولي رداً على تعنيف أو قمع النضال، وعلى التكتيكات المضادة التي يمكن أن يستخدمها المناضلون لتعزيز الغضب.

إطار الـ"Back Fire" يمكن تطبيقه على "المرافقة"، بوجود نوعين من الظلم: الأول، ما يواجهه النشطاء المحليون مثل الضرب والتهديد، وعمليات القتل خارج إطار القانون، أو تدمير البيئة. والثاني، هو التهديدات والاعتداءات على النشطاء غير المحليين[32].

ويشرح مارتن خمسة أساليب يستخدمها المعتدون ضد النشطاء لمنع الغضب[33]:

أولها Cover up أو "التستر"؛ حيث يقومون بعمليات قتل بالسر إن أمكن، بعيداً عن أعين الناس. وفي حال وجود مرافقة، فإن ذلك سيصعب من مهمة المعتدين،

[31] Brian Martin, *Making Accompaniment Effective*, in *People Power; Unarmed Resistance and Global Solidarity*, edited by Howard Clark. First Printing (London: Pluto Press 2009), p.93
[32] Ibid, p.94
[33] Ibid, p.94-95

حيث ستعمل المرافقة كشاهد عيان، وهي أيضاً مرتبطة بشبكات دولية، وبالتالي قد تتسرب الأخبار للإعلام وتجري تدخلات دبلوماسية.

الأسلوب الثاني، وهو Devaluation أو الحد من قيمة الشخص؛ إذ يتم تلقيب النشطاء بالإرهابيين، والمجرمين، والمخربين، والخائنين، وأحياناً يتعرضون للقذف والتشهير بسبب اتهامهم بالتجسس أو سوء السلوك الجنسي. وفي هذه الحالة، فإن المرافقة الدولية تتحدى هذا الأسلوب، عندما يؤمن شخص مستقل من دولة أجنبية ذات أهمية، أن النشطاء المحليين يقومون بشيء جدير بالاهتمام. إضافة إلى دور المؤسسات الأجنبية عندما تختار ناشطاً على أنه مهم. فهذه الشهادة مضاد قوي لأسلوب الحد من قيمة الأشخاص.

الأسلوب الثالث، هو Reinterpretation أو التفسير؛ كأن يقول مسؤولو الحكومة إن مطالب النشطاء غير مهمة أو سيتم الاستجابة لها، أو إن النشطاء لم يتعرضوا للتهديد أو المضايقات، أو إن هجماتها مركزة ضد عناصر مارقة. وهنا، يمكن لمتطوع دولي أن يتحدى ذلك من خلال توثيق ما يفعله النشطاء. فوجود شاهد عيان مستقل شهادة قوية أن ما هو على المحك، هو حقوق الإنسان، وبالتالي مواجهة خطاب الحكومة.

الأسلوب الرابع هو Official Channels أو القنوات الرسمية؛ على سبيل المثال، بعد مجزرة "ديلي" باشرت الحكومة الإندونيسية والجيش بتحقيقات خرجت بأحكام مخففة على بعض الأشخاص. القنوات الرسمية كالمحاكم وأمين المظالم وفرق المخابرات ومؤسسات الحكومة، أوحت بأنها حققت العدالة، لكنها كانت منحازة لصالح المعتدين. وهنا، تقوم المرافقة بلعب دور البديل للقنوات الرسمية حيث توضح أن القنوات الرسمية لا تعمل.

الأسلوب الخامس هو Intimidation أو الترهيب؛ وهو أسلوب أساسي يستخدم تجاه النشطاء، فيما تساعد المرافقة بمكافحة الترهيب بوجودها كشاهد يعطي النشطاء دعماً معنوياً.

ويقترح مارتن من خلال تحليل الـ"Back Fire"، طرقاً لزيادة فعالية المرافقة، كالتوثيق والتواصل، ووجود كاميرات ومسجلات صوتية ومنفذ للتواصل الدولي. كما أن وجود شبكات طوارئ للاستجابة، مثل أشخاص في دول أخرى مستعدين لإرسال رسائل تنبيه. علما بأنه كلما ارتفعت مكانة المرافقين، زادت فعالية المرافقة، وكلما كان تصرف المرافقين مثالياً، فإن ذلك يساعد في شرعنة المرافقة.

كما أن مكافحة أكاذيب ومبررات الحكومة مهمة وضرورية؛ خاصة إذا امتلك المتطوعون مهارات في التحقيق والتحليل النقدي والتعبير الواضح في الكتابة والمحادثة، حيث يمكن استخدام هذه

المهارات لمساعدة النشطاء المحليين للانخراط بشكل فعال أكثر في النضال، ولمخاطبة الجمهور الدولي وفقاً لفهمهم.

وعادة من الأفضل تجنب الوسائل الرسمية، فبدلاً من كتابة رسالة لمسؤول حكومي، يفضل كتابة رسالة في صحيفة أو لقائمة بريد إلكتروني، حيث سيعرف عنها المسؤول. وبدلاً من الدعوة لتحقيقات رسمية، يفضل كتابة ونشر توثيق مفصل للأحداث أو إقامة تحقيقات شعبية. ومع أن العديد من الناس يعتقدون أن القنوات الرسمية يجب أن تجرب لإعطاء الطرف الآخر فرصة، ولكن في العادة، من الأفضل استخدام استراتيجية الحشد. ولمكافحة التخويف، أحد السبل هو فضحه من خلال الاستعداد لتوثيق وتعميم التهديدات والمضايقات. بشكل عام، إن التوجه الأساسي هو التفكير بالأساليب التي يستخدمها المعتدي، وتطوير أسلوب خاص رداً على كل أسلوب[34].

وكما ذكرنا سابقاً، فإن أساس الحماية التي توفرها المرافقة الدولية يقوم على افتراض أن التواجد الدولي يمكن أن يثني أو يردع انتهاكات المعايير الدولية، ويثبت أن التظاهر السلمي مشروع ويجب أن يكون مسموحاً بالقانون، وبالتالي فإن الصدى المحتمل والتأثير الدولي للعنف ضد المتظاهرين يزيد من التكلفة السياسية على الجهة المعتدية. إلا أن المرافقة لا تعمل وحدها، فوظيفتها في الردع يجب أن تظهر في إطار سياسي مع تدابير أخرى ذات آثار رادعة، على

[34] ibid, p.96-97

سبيل المثال، أن تترافق مع إصدار تقارير من قبل المنظمات غير الحكومية المحلية والدولية، أو قرارات في الأمم المتحدة، أو ردود حكومية ودبلوماسية، وغيرها من التدابير الأخرى. هذه المجموعة من أشكال الردع، بمن في ذلك المراقبون الدوليون، يمكن تصنيفها تحت "الضغط الدولي"، وهذه العوامل عادة ما تعتمد على بعضها. وفي المقابل، الضغط الدولي نفسه قد يعتمد على مشاهدة من الأرض، أي من قبل المرافقة الدولية. ولذلك فإنه من المهم فهم أن التواجد الدولي على الأرض لا يكون قوياً إلا إذا استطاع توليد دعم من المؤسسات غير الحكومية والمؤسسات الدولية، أو من الحكومات. غير ذلك، ستكون المرافقة الدولية كشاهد فقط، إنما لا توفر حماية فعلية.

وفي السياق نفسه، فإن درجة فعالية الدوليين تعتمد جزئياً على رؤية المعتدي لمصالحه الدولية. وبشكل عام، مجرد التواجد الدولي لا يكفي؛ فحتى توفر الحماية، تحتاج المرافقة لأن تكون لديها استراتيجية محددة مع سلسلة من الفعاليات، مثل ضمان الحفاظ على وجودهم، واستدامة بناء شبكات الاتصال، والتواصل الدائم مع السلطات والمسؤولين على جميع المستويات محلياً وخارجياً، وكذلك نشر التحليلات والمعلومات. كما أنه من الضروري أن نتذكر أن الدولة عليها مسؤولية حماية حقوق الإنسان للشعب الذي يقاوم، وأن عمل المرافقة الدولية يهدف إلى تذكير الدولة بذلك دائماً[35].

[35] Eguren, *Developing Strategy*, P.102-103

إن مجالات التأثير الرئيسية للمرافقة هي مراقبة المعايير الدولية والحماية. وفي الحالات المثالية، فإن على المراقبين دورَ ردع انتهاك المعايير المتفق عليها، وفي حال انتهكت، فعليها توثيق الانتهاكات ونشرها من أجل محاسبة المنتهكين، وبالتالي سيعودون في المستقبل للاتفاقيات أو المعايير. كما أن تواجد المراقبين عامل رئيسي لصنع القرار لدى الحكومات، من خلال تسليط الضوء على الطريقة الصحيحة للعمل وتفصيل كل الخيارات المتاحة؛ حيث يؤطر المراقبون القضايا، من خلال التركيز على ما هو ضروري، واقتراح أنواع محددة من العمل، وخلق نقطة مشتركة لمسؤولي الحكومات، والأجهزة الأمنية، وغيرها.

ومن العناصر الأساسية في الحماية، التمكن من الوصول للناس المنخرطين في المقاومة أولاً، والبحث عن المعلومات وتوزيعها ثانياً، وأخيراً استخدامها بشكل استراتيجي في الحشد لتحقيق ما يجب أن تعمله الحكومات. أما النتائج الفورية التي يمكن توقعها من الحماية الدولية؛ فهي تطوير معرفة أكبر وقدرة خاصة لنية العمل لدى الحكومات المسؤولة عن الحماية، من أجل جعلهم أكثر مساءلة والحد من الإفلات من العقاب. وثانياً، العمل على توسيع مساحة محمية يعمل فيها المقاومون، لتمكينهم من الاستمتاع بحقوقهم التي تم انتهاكها، وتعزيز قدرتهم على إطلاق المبادرات والتأكيد على حقوقهم.

أبسط طرق القياس لتأثير الحماية يكون من خلال تقييم حجم امتثال الحكومة أو أي جسم مسؤول عن الحماية للمعايير الدولية المتعلقة بالحماية، وتقييم إلى أي مدى تحسنت ظروف الحياة على أساس مستدام ودائم[36].

أما فيما يتعلق بالنتائج السلبية للمرافقة الدولية؛ فإن العالم سيبقى مميزاً بالاستعمار وما بعد الاستعمار والصراعات من أجل إنهاء الاستعمار. ففي العديد من دول الجنوب، فإن الأجانب الذين يأتون من الشمال، ينظر إليهم في ضوء ذلك، ويفرضون نماذج اجتماعية وسياسية، ويفتخرون بالتكنولوجيا المتطورة، ولديهم قوة غير متكافئة. ومع ذلك، فإن الواجهة التي يوفرونها مع المقاومة المحلية، تسمح ببناء جسور بين المحلي والدولي على أساس قيم عالمية. وكذلك، فإن القرارات الرئيسية في السياسة الدولية ستبقى بيد عدد من القوى الدولية والإقليمية، وجنسية المرافقين مهمة لأنها ترتبط بقدرة حكوماتهم على اتخاذ الأفعال. ويجب فهم استخدام قدرة مواطني الشمال للتأثير على حكوماتهم بشكل تكتيكي، باعتباره حقيقة واضحة في الحركات الاجتماعية العابرة للحدود الوطنية. والاستثناء الوحيد هو عندما تكون المنظمة نفسها لديها الثقل السياسي الكافي للتعبئة من أجل تحرك حكومي.

[36] Ibid, p.104-106

وبشكل عام، يجب أن نكون حذرين من أي أشكال للهيمنة في المرافقة الدولية، مثل خطر نقل اتجاهات ثقافية أو التدخل في الإجراءات المحلية للمنظمة. ولمنع كل هذا، يجب توفير سياسات صريحة تفسر كيفية العمل في المرافقة الدولية[37].

1-4 تعريف وسمات عامة لحركات التضامن والمناصرة

تصف الباحثتان كيك وسكينك هذه الشبكات، بأنها

> هياكل تواصلية، ومن أجل التأثير في الخطاب والإجراءات والسياسات؛ قد ينخرط النشطاء ويصبحون جزءاً من مجتمعات أكبر للسياسات، تعمل فيها مجموعة من الفواعل على قضية من منظورات مؤسساتية وقيمية مختلفة. كما أن هذه الشبكات يجب أن تفهم كفضاءات سياسية، تتفاوض فيها مختلف الجهات الفاعلة بطريقة رسمية أو غير رسمية، حول معنى مشروعهم المشترك اجتماعياً وثقافياً وسياسياً.. ونشير للشبكات العابرة للحدود الوطنية بهذا المصطلح، بدلاً من تحالفات أو حركات أو مجتمع مدني، لاستحضار البعد المنظم والهيكلي في أفعال هذه الفواعل المعقدة، والذين لا يشاركون فقط في مجالات سياسية جديدة، بل أيضاً يشكلونها. ومن خلال إحضار مفهوم الشبكة من علم الاجتماع وتطبيقه خارج

[37] ibid, 107

> الحدود الوطنية، فإننا نسد الفجوة الاصطناعية المتزايدة بين العوالم الدولية والوطنية. ومع ذلك، فإن نظريات العلوم الاجتماعية لم تملِ اختيارنا لـ"الشبكة" كاسم معين للظاهرة التي ندرسها. لكن الفواعل أملت علينا ذلك، فخلال العقدين الماضيين عمل كل من الأفراد والمنظمات بوعي على تشكيل وتسمية شبكات عابرة للحدود القومية، وطوروا وشاركوا استراتيجيات وتقنيات التشبيك، وقيموا مزايا وما يحد هذا النوع من النشاط. والعلماء جاءوا متأخرين على ذلك[38].

وترفض الباحثتان في طرحهما الفصل بين العلاقات الدولية والسياسة المقارنة، وأنه حتى النظريات الليبرالية للعلاقات الدولية التي تدرك أن المصالح المحلية تشكل قرارات الدول على الصعيد الدولي، فالدول جزء لا يتجزأ من العالم المتداخل، حيث الفواعل غير الحكومية مترابطة معهم، لا يمكنها تفسير الظاهرة التي نتحدث عنها. ولذلك، استندت الباحثتان إلى التقاليد الاجتماعية التي تركز على التفاعلات المعقدة بين الفواعل، وعلى البناء المشترك لأطر المعنى، والمفاوضات وتطويع الهويات والمصالح، ولدراسة الشبكات استمدتا من البنائية في العلاقات الدولية ومن منظري الحركات الاجتماعية في السياسة المقارنة. فعرفتا الشبكات، بأنها

[38] Keck and Sikkink, *Activists*, 3-4

أشكال من التنظيم تتميز بأنماط من التطوعية والتبادلية والأفقية في التواصل والتبادل. والمنظر في التنظيمات والتر باول، يسميها الشكل الثالث من التنظيم الاقتصادي، مع اختلاف واضح عن الأسواق والتسلسل الهرمي (الشركات). يقول: "الشبكات أخف وزناً على أقدامها من التسلسل الهرمي، ومناسبة بشكل خاص للظروف التي تكون فيها حاجة إلى معلومات تتسم بالكفاءة والموثوقية، ولتبادل السلع التي لا يمكن قياس قيمتها بسهولة"[39].

كما أن مفهوم "الشبكة" يفسر العلاقات السلسة والمفتوحة بين الجهات الملتزمة وذات المعرفة، والتي تعمل في مجالات القضايا المتخصصة. ويطلق عليها شبكات المناصرة، لأن المناصرين يدافعون عن قضايا الآخرين، وهي ما تميز الشبكات العابرة للحدود الوطنية، حيث يتم تنظيمها لتعزيز القضايا والأفكار المبدئية، والمعايير، وغالباً ما تشمل أفراداً يدعون إلى تغيير السياسات، وكل ذلك لم يمكن ربطه بمصالحهم. ومن الجدير ذكره أن هذه الشبكات قد تضم جهات فاعلة رئيسية مختلفة، كمنظمات غير حكومية محلية أو دولية للأبحاث والمناصرة، وحركات اجتماعية محلية، وجمعيات، والإعلام، والكنائس، والاتحادات النقابية، ومؤسسات المستهلكين، والمثقفين، وبعض المنظمات غير الحكومية الإقليمية والدولية، وأجزاء من الأفرع البرلمانية أو التنفيذية للحكومة. وبطبيعة الحال، ليس من الضرورة أن يكون كل ما سبق في شبكة

[39] Ibid, p.8

مناصرة واحدة، كما أن الدراسات الأولية تشير إلى أن المؤسسات غير الحكومية المحلية والدولية تلعب دوراً أساسياً في هذه الشبكات، خاصة في الضغط على الجهات الأكثر قوة لأخذ موقف. وككل الشبكات العابرة للحدود القومية، فإن شبكات المناصرة ليست جديدة كما سلف، لكن أعدادها وأحجامها واختصاصها وسرعة وكثافة وتعقيد الصلات الدولية بينها، نمت بشكل كبير خلال العقود الثلاثة الأخيرة. وفي الوقت الذي لا يمكن إحصاء العدد الدقيق للشبكات من أجل قياس نموها، إلا أن أحد المؤشرات زيادة عدد المؤسسات غير الحكومية الملتزمة بالتغيير الاجتماعي. هذه الزيادة وتكاثر الشبكات سؤال يحتاج لإجابة ما إذا جرى الأخذ بعين الاعتبار هذه العوامل ككلفة التشبيك الدولي، والمسافة الجغرافية، وتأثير القومية، وتعدد اللغات والثقافات، وتكلفة السفر. في المقابل، ومع تطور العالم، توسعت الفرص أمام نشاطات الشبكات مع تكاثر المؤسسات الدولية والمؤتمرات، التي وفرت "بؤراً" للروابط، خاصة أن السفر الجوي أصبح أرخص، وسرّعت تقنيات التواصل الإلكترونية الجديدة من تدفق المعلومات، وبسّطت التواصل الشخصي بين النشطاء[40].

وتشير القراءات إلى أن هذه الشبكات تبرز في أغلب الأحوال، عندما تغلق القنوات بين المجموعات المحلية وحكوماتها، أو تعرقل هذه القنوات، أو أن تكون غير فعالة، وعندما يعتقد الناشطون و"الرياديون السياسيون" أن التشبيك سيعزز

[40] Ibid, p. 5- 12

من رسالتهم وحملاتهم وتنشيط الشبكات، وأخيراً عندما تخلق المؤتمرات وأشكال أخرى من التواصل الدولي ساحات ومنابر لتشكيل وتعزيز الشبكات[41].

عطفاً على ما ورد أعلاه، يمكن القول إن هذه الشبكات هي تجمعات بشرية لها اهتمام واحد في قضية معينة، تستخدم كل وسائل التواصل والاتصال فيما بينها ومع العالم الخارجي، من أجل تحقيق أهداف محددة كالتأثير على الرأي العالمي مثلاً، أو حماية المدنيين، أو حتى لنقل الصورة الحقيقية لحدث ما أو قضية ما. أما فيما يتعلق بأشكالها التنظيمية، فقد تكون هذه إحدى النقاط غير النمطية في هذه الحركات، فلكل حركة شكلها التنظيمي الذي رأته مناسباً، فيما وجدت حركات لا يوجد فيها تنظيم حقيقي كحركة التضامن الدولي التي سيتضح في الفصول اللاحقة أن تأسيسها جاء على شرط عدم وجود إطار تنظيمي فيه أي تراتبية. ومع ذلك سيتضح أن للحركة إطاراً خفياً مارسه المؤسسون بقصد أو بغير قصد.

أما السمات التي تتميز بها هذه الحركات في العصر الحديث تحديداً، فيمكن القول إنه توجد ثلاث سمات أساسية ميزتها: أولاً استخدام المعلومات كأساس عملها، إما لتوضيح الحقيقة أو لمكافحة المعلومات المغلوطة من خلال استخدام وسائل الإعلام الاجتماعي بشكل خلاق ومبتكر. ثانياً، يبدو جليّاً أن دور الأفراد صعد مقابل تراجع التنظيمات، حيث أصبحت هذه الحركات أكثر مرونة وأخف تنظيماً من أي تجمعات أخرى كالأحزاب السياسية العالمية. وثالثاً،

[41] Ibid, p. 12

أصبحت هذه الحركات تضغط وتوظف الجهات غير الحكومية من أجل العمل معها لخلق قاعدة أكبر من الضغط والمناصرة، وبالتالي تحقيق إنجازات أكبر بفعل حجم وثقل قاعدتها الجماهيرية. وفيما يتعلق بهذه السمة تحديداً، فالكثير ممن انشقوا عن حركة التضامن الدولية لاحقاً، أسسوا منظمات أهلية صغيرة تعتمد على الدعم الخارجي وأساس عملها النشطاء العالميون.

يتبين من كل ما ورد في هذا الفصل، أن هذه الحركات الدولية أصبحت فواعل دولية، بمعنى أنها تؤثر على السياسة العالمية حتى ولو بشكل محدود، إلا أن الأثر الذي يحدثه نشطاؤها واضح وله تبعات قد تترجم بإنجازات كبيرة على الأرض، وما كانت لتحدث دون جهودهم. كما أن أثرهم قد لا يترجم على الأرض مباشرة عن طريقهم، إنما من خلال عملهم على الضغط على المنظمات الدولية الكبيرة التي من شأنها التحرك عطفاً على الضغوطات التي قد تتعرض لها. ومما لا شك فيه أن الحركة الأممية بشكلها البسيط، والتي تتفاعل مع أحداث الظلم والكوارث البيئية والمجازر البشرية، ما هي إلا محرك للشعوب في الشوارع ومن شأنها الضغط على حكوماتها.

الفصل الثاني:

تاريخ التضامن مع الشعب الفلسطيني

في سياق هذه الدراسة، لا بد من مدخل تاريخي فيما يتعلق بتاريخ التضامن مع فلسطين، حتى ولو بشكل عام ومقتضب، إذ لا يمكن الفصل بين ما وصل إليه التضامن مع الفلسطينيين في المرحلة التي تدرسها هذه الأطروحة، منذ العام 2002 تقريباً، وتاريخ التضامن مع الفلسطينيين. مع الأخذ بعين الاعتبار عدة عناصر، أهمها شكل التضامن وكثافته وقيادته.

يمكن الإشارة إلى أن هناك ثلاث مراحل للتضامن الدولي مع الفلسطينيين: أثناء مرحلة الكفاح المسلح (الستينيات والسبعينيات)، ومن ثم خلال الانتفاضة الأولى 1987 وحتى توقيع اتفاق أوسلو وعودة القيادة الفلسطينية إلى الأراضي الفلسطينية (1994–1995)، وأخيراً مرحلة الانتفاضة الثانية وحتى الانتهاء من هذه الدراسة، مطلع العام 2018. وسيكون واضحاً أن لكل مرحلة ما يميزها. شارك في المرحلة الأولى متضامنون دوليون في الكفاح المسلح مع الفلسطينيين وفقدوا حياتهم، أو أسروا، إثر تنفيذ عمليات نوعية. وفي الانتفاضة الأولى تجدد التضامن الدولي وتميزت تلك الفترة بظهور حركة نسائية إسرائيلية "سيدات في الأسود" بدأت في إسرائيل وأصبحت عالمية. أما خلال الانتفاضة الثانية، وتحديداً في ذروتها، فتميزت تلك الفترة بحضور الأجانب للتضامن مع الفلسطينيين ومرافقتهم، كنوع من الحماية من خلال اتباع أساليب سلمية وغير عنيفة،

إلى جانب تطور لافت وهو ظهور حركة مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها (The Boycott, Divestment, Sanctions Movement) (BDS).

بهذا المعنى، يجدر التمييز بين نوعين من التضامن، الأول جماعات وحراكات جماهيرية، تبدي تضامناً وتعاطفاً مع الفلسطينيين، من داخل بلادها، سواء عبر مظاهرات أو تنظيم حملات مقاطعة، ونمط آخر هو الحضور إلى الميدان، والنضال مع الشعب الفلسطيني.

2-1 جذور التضامن الدولي مع القضية الفلسطينية

يرجع نبيل شعث، عضو اللجنة المركزية السابق، في حركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح"، مستشار الرئيس للعلاقات الدولية والشؤون الخارجية، أصل التضامن الدولي مع فلسطين، إلى أول تضامن جاء مع القضية الفلسطينية من الدول العربية والإسلامية، على أساس أن هذا استعمار صهيوني وبريطاني له جذور دينية وجذور ضد القومية العربية وضد الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية في فلسطين، ولذلك كان هناك متطوعون عرباً ذهبوا وقاتلوا مع الثورة الفلسطينية منذ بدايتها. ويستذكر شعث أنه لاحقا وخلال تواجد فتح في لبنان، كان هناك مقاتلون من بنغلادش والهند والباكستان وأمريكا اللاتينية وأفريقيا، وآخرون من الأردن والعراق ومصر ومن كل مكان، وكانوا يشتركون في القتال مع الثورة الفلسطينية، سواء مع فتح أو مع بعض التنظيمات اليسارية كالجبهة الشعبية، في وقت كان الفلسطينيون أيضاً يتضامنون مع الشعوب الأخرى، ولذلك نشأت علاقة قوية مع فيدل كاسترو في كوبا، ومع حزب المؤتمر الأفريقي. وكانت هناك

علاقة قوية تربط بين الشعوب المناضلة أو الشعوب التي ترى في نضال الفلسطينيين نضالاً يستحق التضحية بالمال والروح وليس فقط بالعمل السياسي[42].

يسرد غسان شربل في كتابه "أسرار الصندوق الأسود"، أنه ومع بداية العمليات الأولى لـ"المجال الخارجي" التي كان يقودها وديع حداد، أحد مؤسسي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، طلبت العديد من الجماعات الثورية من أنحاء مختلفة من الشرق الأوسط، التعاون مع الجبهة الشعبية. وكان حداد في حينه يقود الأرضية السياسية لبناء هذه العلاقات بعد أن تأكد من صلابتها، ومن ثم يبدأ تبادل المعلومات وتوفير وثائق وأسلحة وتدريبات والمشاركة المباشرة في العمليات. ويقول شربل:

> تحول (المجال الخارجي) معهداً للثوار تخرج منه من هزّوا العالم بعنف: (سالم) الفنزويلي الذي لم يكن غير كارلوس، و(مريم) اليابانية التي لم تكن غير نوريكو شيغينوبو زعيمة (الجيش الأحمر)، و(مجاهد) الأرمني الذي لم يكن غير آغوب آغوبيان زعيم (الجيش السري الأرمني لتحرير أرمينيا)[43].

علماً بأن كارلوس الفنزويلي شارك في عملية احتجاز 11 وزير نفط في منظمة الدول المصدرة للبترول (أوبك) عام 1975 في العاصمة النمساوية[44]. كما أن ستة شاركوا بعملية فيينا

---

[42] نبيل شعث، مقابلة شخصية، رام الله، 2 شباط 2014

[43] غسان شربل، *أسرار الصندوق الأسود*، الطبعة الأولى (بيروت: كتب رياض الريس، 2008)، ص37

[44] من هو "كارلوس الثعلب"؟، موسوعة الجزيرة -الجزيرة نت، شوهد في 2016/1/12، في https://goo.gl/NTecPk

من بينهم شاب ألماني اسمه هانز يواكيم كلاين، وشابة ألمانية اسمها غابرييل توجمان واسمها الحركي ندى[45]. فيما شاركت مريم في عملية مطار اللد يوم 31 أيار 1972[46]، وتقبع الآن في السجن بعد عقود من مطاردتها من قبل السلطات اليابانية. ويتجلى واضحاً في كل فصول الكتاب زخم مشاركة الأجانب في العمليات العسكرية التي نفذها الفلسطينيون؛ فكانت عملية عنتيبي التي وقعت يوم 26 حزيران 1976، إحدى تلك العمليات التي شارك فيها شاب وشابة من ألمانيا، اللذان كانا من الخلايا الثورية، حيث قتلا بعدما هبطت طيارات إسرائيلية في مطار أوغندا، وأحبطت عملية خطف طيارة تابعة للخطوط الفرنسية كانت في طريقها إلى تل أبيب وعلى متنها 77 إسرائيلياً. اللافت في هذه العملية أيضاً ليس فقط مشاركة أجانب في عملية الخطف، إنما التضامن الذي كان على مستوى رسمي، عندما وافق الرئيس الأوغندي آنذاك عيدي أمين على استقبال الطائرة في مطار بلاده[47].

هنا لا بد من التوقف عند حقيقة أنّ موضوع "صوابية" القيام بهذه العمليات الخارجية، ومدى فائدتها السياسية، أمر يحتاج لمزيد من البحث، وهو خارج أهداف هذه الدراسة، وسيتم في الصفحات التالية الإشارة لتقييمات سلبية لبعض أوجه التضامن الأجنبي.

---

[45] شربل، *أسرار الصندوق الأسود*، ص258
[46] المرجع السابق، ص215
[47] المرجع السابق، ص102-109

كما يستدل من كتاب شربل، أن الفلسطينيين جندوا أعضاء لاستقطاب الأجانب من أجل دخول الأراضي المحتلة كما يروي أنيس النقاش، الذي انضم إلى صفوف "فتح" في عمر الـ16 سنة[48]، حيث يقول النقاش إنه شارك في استقطاب أوروبيين للقيام بعمليات استطلاعية داخل الأراضي المحتلة[49]. وأدرك النقاش أهمية التحالفات العسكرية والتوزيع الاستراتيجي في العالم، فأرسل رسالة إلى خليل الوزير (أبو جهاد) (1935–1988) أهم القيادات المؤسسة لحركة فتح وذراعها المسلح، يقترح فيها توسيع علاقة الفلسطينيين بالحركات الثورية وحركات التحرر، من أجل إقامة تحالفات مضادة ضد الدول الكبرى وتحالفات العالم، وبدأ التركيز على إيران وتركيا. فبدأ التواصل مع مناضلين أتراك وإيرانيين لتوسيع شبكة التعاون، حتى أصبحوا يتبادلون الخدمات، فأرسلوا خلايا تركية وإيرانية إلى الأراضي المحتلة من أجل الاستطلاع وتزويد الفلسطينيين بالمعلومات، مقابل خدمات تدريبية على الأسلحة والمتفجرات ودورات سياسية تنظيمية وأمنية[50].

ويستطرد النقاش في فصول الكتاب كيف عينه أبو جهاد في أوائل السبعينيات لمتابعة الكوادر الطلابية من الذين يدرسون في الخارج، وإعطائهم بعض المهمات ليؤسسوا علاقات جيدة مع الشباب الأوروبي المؤيد للقضية، حيث تركز عمله في فرنسا وإيطاليا وبريطانيا. إلا أن هذه الشبكة كانت تمتد لكندا والولايات المتحدة الأمريكية وحتى الجنوب. وبعد اختراق الشباب الأوروبي

---

[48] أنيس النقاش.. عملية فيينا، الجزيرة نت، 2000/12/21، شوهد في 2017/12/1، في https://goo.gl/iFnVud

[49] شربل، الصندوق، ص258

[50] المصدر السابق، ص285-286

وبمجرد كسب تأييدهم وجذبهم للعمل مع الفلسطينيين، يتم تكليفهم بمهمات استطلاعية، كإرسال أحدهم بصفة سائح إلى فلسطين، وتوكيله بمهمة التقاط أكبر عدد من الصور لمناطق معينة واستكشافها. وعبر هذا –على سبيل المثال– تم تجميع معلومات كبيرة عن المستوطنات الشمالية، بالقرب من الحدود اللبنانية[51].

ولأن الهدف الرئيسي في هذه الرسالة ليس تتبع تاريخ العمليات التي شارك فيها متضامنون أجانب، فسيتم الاكتفاء بالتفاصيل السالفة، التي أوضحت نوع التضامن في تلك الفترة، حيث يصل حد المشاركة في العمل المسلح. وهو ما أثر –أحياناً– على الرأي العالمي سلباً. يقول شعث:

> .. وبدأت نغمة اتهام النضال الفلسطيني بالإرهاب الدولي تتصاعد.. كنت أشرح دوافعه وأسبابه، وأركز على حسن معاملة الركاب المخطوفين.. لكني كنت أدرك أن هناك خسارة موضوعية نتحملها يومياً من الدعم الدولي لقضيتنا.. خصوصاً لمن ينادي بقيام دولة ديمقراطية تقدمية لا طائفية، ومن يلتزم بالقانون الدولي في ممارسة الكفاح المسلح[52].

---

[51] المصدر السابق، ص322-323

[52] نبيل شعث، *حياتي.. من النكبة إلى الثورة*، (القاهرة: دار الشروق، 2016)، ص292

بطبيعة الحال فإنّ المشاركة في الكفاح المسلح، أو الاندماج في منظمات العمل الفلسطيني، سياسياً وإيديولوجيا، هي وجه واحد من التضامن، وهناك أوجه أخرى، وتحديداً التضامن الشعبي الجماهيري، وقد بدأ هذا التضامن عربياً منذ نهاية عشرينيات القرن العشرين، حيث كانت المظاهرات التي أيدت الفلسطينيين، عندما اندلع الخلاف حول حائط البراق، في مدينة القدس، بين الحركة الصهيونية والفلسطينيين، أحد أبرز معالم بدايات التضامن الشعبي العربي مع النضال الفلسطيني، ومن أبرز معالم وجود اهتمام عالمي شعبي بالصراع العربي الإسرائيلي. ثم تطور هذا التضامن إبّان ثورة العام 1936[53].

عالمياً، وفي مرحلة الستينيات وبداية السبعينيات، عملت منظمة التحرير الفلسطينية، على النشاط في كل مناسبة أممية ممكنة للمشاركة فيها، سعياً للحصول على التضامن الأممي مع القضية الفلسطينية، والبناء عليها في المحافل الرسمية. ففي تموز 1973، على سبيل المثال، حضر ياسر عرفات (أبو عمّار)، بصفته رئيساً للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، مهرجان الشباب العالمي في برلين بمناسبة تضم آلاف الشباب من حول العالم، ولوّح بعلم الثورة العالمية أمام كل الحضور. كان يدرك تماماً أهمية التواصل مع اتحاد الطلبة الفلسطينيين حول العالم، فحرص على توثيق علاقته به[54]. ومما لا شك فيه أن لعرفات دوراً محورياً في جذب التضامن الدولي للفلسطينيين، ليس فقط بالكاريزما المرافقة له، إنما بأسلوبه الذي يحث فيه الناس على

---

[53] لمزيد من التفاصيل، أنظر إبراهيم سيف، سياسة مصر الخارجية والقضية الفلسطينية، من الحكم الملكي إلى "الربيع العربي" (1917- 2013)، رسالة ماجستير، جامعة بيرزيت، 2015، ص24- 30

[54] أحمد عبد الرحمن، *عشت في زمن عرفات*، (رام الله: دار الحرية للثقافة الوطنية، 2014)، ص100-101

التحرك والثورة بالرغم عن أفكارهم. يقول أحمد عبد الرحمن في كتابه "عشت في زمن عرفات": "كانت لديه الثقة المطلقة بالناس العاديين، فيذهب إليهم حيث هم في حياتهم الخاصة المعزولة ويحركهم للعمل العام"[55].

كما أن العلاقة مع الاتحاد السوفييتي من خلال الرئيس المصري جمال عبد الناصر (1956–1970)، عندما اصطحب معه أبو عمار سنة 1969 إلى موسكو، فتحت باباً أمام تمتين العلاقات مع دول المنظومة الاشتراكية والأحزاب الشيوعية. كما أن "فتح" في تلك الفترة كانت توظف أي وسيلة ممكنة لكسب التأييد والتضامن، وكانت (فلسطين الثورة) المجلة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية، إحدى تلك الأدوات التي كانت توزع على كل الأجسام الفلسطينية أينما كانت، وجذبت اهتمام مثقفي الأحزاب الشيوعية العربية، حيث أصبحوا يشاركون فيها[56]. وكان الدبلوماسيون السوفييت يترددون على مكاتب المجلة في بيروت[57]. ومن الأدوات التي كان يجندها الفلسطينيون، إلى جانب مشاركتهم في كل المؤتمرات الشبابية والأممية، استغلال الفنانين الفلسطينيين للمشاركة على هامش المؤتمرات، حيث يذكر شعث في إحدى المرات وعلى هامش مؤتمر "بتسبرج" لمنظمة الطلاب العرب 1964، أن "فتح" أمّنت بعض الأموال لإحضار الفنانين الفلسطينيين: إسماعيل شموط وزوجته تمام الأكحل ولوحاتهما الفنية لعرضها في المؤتمر، ومن

---

[55] المصدر السابق، ص111
[56] المصدر السابق، ص114-116
[57] المصدر السابق، 122

ثم عقد جولة في الولايات المتحدة[58]. وحول استغلال فناني وأدباء فلسطين في التضامن الدولي أو الترويج للقضية الفلسطينية وتقديمهم كوجوه للقضية الفلسطينية، فهذه المرة كان الشاعران محمود درويش ومعين بسيسو، عندما اقترح أحمد عبد الرحمن على أبو عمار: "محمود ومعين منارات مضيئة أينما ذهبا، وأرى أن يكون لمحمود درويش عنوان وإقامة في باريس، ولمعين بسيسو عنوان وإقامة في لندن. ويكفي أن يعرف الناس بوجودهما، ويكفي أن يصافحا الناس ويتكلما معهم"[59].

وفي سياق المشاركات والبناء عليها لاحقاً، عقد في كانون الثاني عام 1969 مؤتمر نصرة الشعوب العربية في القاهرة، حيث مثّل "فتح" في حينه نبيل شعث برفقة شباب من الإعلام الخارجي لفتح، وألقى خطاباً حول فلسطين الديمقراطية التي يناضل الفلسطينيون من أجلها. علما أن 74 وفداً من دول عربية وأوروبية وآسيوية وأمريكية حضروا المؤتمر، و15 منظمة دولية، ووفداً كبيراً من يهود أوروبا الاشتراكيين اليساريين، والزعيم الهندي كريشنا مينون، والزعيم القبرصي لاساريدس، والكاتب الفرنسي اليساري إريك رولو، والصحفية اليهودية الفرنسية آنيا فرانكوس، والمفكر الفرنسي جاك بيرك، والمؤرخ البريطاني أرنولد توينبي، والمفكر الماركسي البلجيكي مارسيل ليبمان. وعلى إثر هذا المؤتمر، تعرف شعث على المفكر الفرنسي ورئيس المجموعة الكاثوليكية اليسارية جورج مونتارون، حيث اتفقا في حينه على عقد مؤتمر كبير في بيروت بعنوان (المؤتمر

[58] شعث، حياتي، ص191
[59] عبد الرحمن، عشت، ص178

الدولي للمسيحيين من أجل فلسطين)، وقد عقد المؤتمر في أيار عام 1970 وحقق نجاحاً كبيراً[60]. وأعقب هذا المؤتمر مؤتمر آخر في أيلول عام 1970 تحت عنوان "ندوة فلسطين العالمية"، التي عقدت في عمان تحت إشراف الاتحاد العام لطلبة فلسطين، وحضرها ما يزيد على 200 ممثل لما يقرب من 90 منظمة وطنية وعالمية وحركة تحرر[61]. وأعقبتها ندوة ثانية تحت نفس العنوان، حيث عقدت في شباط عام 1971 في الكويت، وأنجزت هدفاً من أهدافها وهو التشبيك مع الآخرين وبناء علاقات جديدة[62].

ولا بد من ذكر الجهد الإعلامي الذي ركزت عليه "فتح" من أجل التأثير في الرأي العام العالمي، مع أنها لم تمتلك محطة تلفزيونية ولا وكالة أنباء ذات بعد دولي، ولا وسائل إعلام ناطقة باللغات الأجنبية. ويقول شعث الذي كان يستلم الإعلام الخارجي لفتح في حينه:

> .. كان هدفنا هو توصيل ما نريده من أخبار ومواقف وأفكار من خلال الإعلاميين الأجانب لإحداث التأثير الذي نريده... نفعل ذلك باللغتين الإنجليزية والفرنسية عاليتي الإتقان، وبأسلوب عصري ذكي وجذاب وبمصداقية عالية، وبقدر من الالتزام والتصميم الثوريين. وقد أحدثنا التأثير الذي نريد[63].

---

[60] شعث، حياتي، ص258-259
[61] المصدر السابق، ص298
[62] المصدر السابق، ص213-214
[63] المصدر السابق، ص278

في الواقع سعت فصائل العمل الفلسطيني المختلفة، للحصول على التضامن العالمي، ولكن مع تركيز على القوى اليسارية الغربية تحديداً. وهنا ربما يجدر التوقف عند حقيقة أنّ التيار الرئيسي في منظمة التحرير الفلسطينية، كان يبحث عن التضامن الدولي، بما فيه العربي، على قاعدة من عدم التدخل في شؤون الدول العربية الأخرى، وعلى أساس التآزر والتعاون، ولكن الفصائل اليسارية، خصوصاً الجبهتان الشعبية والديمقراطية، آمنتا بوحدة النضال وبالتالي لم تؤمنا حقاً بمبدأ عدم التدخل في شؤون الدول الأخرى.[64] وعلى سبيل المثال، يعتقد أنّ استهداف الموساد الإسرائيلي، واغتيالها، لأستاذ القانون الدولي، والمؤرخ العراقي، العضو في حركة القوميين العرب، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، باسل الكبيسي، كان جزئياً على الأقل بسبب دوره في التجوال في أوروبا للدفاع عن وجهة نظر الجبهة الشعبية، وتوضيح سياساتها عالميا.[65]

ويمكن الادعاء دون شك أن ثمار العمل الذي قام فيه الفلسطينيون في جذب التضامن الدولي، تجلت نتيجته بالسماح لأبو عمار بإلقاء خطابه الشهير أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم 13 تشرين الثاني عام 1974، بعد ضغوطات مكثفة من دول مؤيدة للكفاح الفلسطيني. حيث وصف عبد الرحمن هذا اليوم بافتتاحية (فلسطين الثورة): "... يوم عيد أممي يرمز إلى التضامن الكفاحي بين شعوب العالم التقدمي وقواه الثورية. ولا بد، من أجل تحقيق الانتصار على الصهيونية

---

[64] سامي يوسف أحمد، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، الجذور، التكوين، المسارات (القاهرة: جزيرة الورد، 2010)، ص 466.
[65] Kai Bird, The Good Spy, the Life and Death of Robert Ames, (New York: Broadway Books, 2014), pp. 67- 68, 140- 145.

المغتصبة من تعميق التحالف بين الثورة والبلدان الاشتراكية وطليعتها الاتحاد السوفييتي"[66]. ويمكن القول إنه من بداية السبعينيات، وتحديداً من العام 1974 ومن خطاب ياسر عرفات في الأمم المتحدة، أصبحت الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية في أوروبا والعالم تقف مع الفلسطينيين، بالإضافة إلى الأحزاب الشيوعية واليسار. حتى أصبح هناك تعاطف من بعض أحزاب اليمين الوسط، خصوصًا التي تتمسك بحقوق الإنسان[67].

لاحقاً وبعد الخروج من لبنان تحديداً، أصبح من الصعب أن يصل أي أحد لفلسطين، وبالتالي المشاركة في الجسد تقلصت جداً، فلم يعد هناك متطوعون من أي دولة، والفلسطينيون توقفوا عن ممارسة الكفاح المسلح بشكله الشعبي، فهذا الجانب من التضامن تقلص بشكل كبير. إلا أن التضامن المالي استمر من الدول العربية والأفريقية والأوروبية وحتى أمريكا واليابان. وفعلياً، ما تبقى هو الدعم الشعبي السياسي، الذي كان في البداية جزءاً من الإعلام عن القضية الفلسطينية، أي مثل الاتصال بالقوى الشعبية في إيطاليا لتفهم قضية فلسطين ولتنقل هذا الفهم إلى أشكال من المساعدة. ونشأت في أوروبا أجسام بأسماء مختلفة، لكن الإطار العام كان اسمه Palestine Solidarity Campaigns، في إنجلترا، وفرنسا، وإيطاليا، والسويد، وأسماء وأشكال أخرى في الدول أخرى[68].

---

[66] عبد الرحمن، عشت، ص114

[67] شعث، مقابلة شخصية

[68] المصدر السابق.

وفي البداية، كان الذين يشتركون في النشاطات السياسية المضادة لإسرائيل المناصرة لفلسطين، هم يسار اليسار، كالفرق التي كانت تسمي نفسها تروتسكية، وهي يسار النظام الشيوعي الروسي، وأيضاً القوى الماوية، وهي مع الشيوعية بالتجربة الصينية والفيتنامية. وحتى من كانوا يسمون أنفسهم الفوضويين، وهم ضد النظام ويعتقدون أن كل الأنظمة فاسدة وهدفها قمع الشعوب. ولكن تدريجياً وخصوصاً بعد زيارة الرئيس الراحل عرفات لموسكو مع الرئيس الراحل عبد الناصر، أصبح هناك تصالح وتعاطف من الأنظمة الشيوعية التابعة لموسكو مع القضية الفلسطينية، أدى إلى أن كل الأحزاب الشيوعية العالمية في أوروبا وآسيا وأمريكا اللاتينية وأفريقيا، أصبحت تشارك في نشاطات التضامن الشعبية ذات الطابع السياسي مع الفلسطينيين. بعدها وفي حرب 1973، أصبح الحديث عن الكفاح المسلح من جهة وعن برنامج سياسي من جهة أخرى. هذا البرنامج كان سنة 1969، الدولة الديمقراطية الواحدة عند تحرير كامل التراب الفلسطيني، ولاحقاً أصبح الحديث عن سلطة فلسطينية على جزء من التراب الفلسطيني، وبدأت فكرة التفاوض وفكرة العمل السياسي، وفكرة قيام دولة فلسطينية على جزء من فلسطين وليس على كلها. بدخول هذا الجزء، أصبحت الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية تقف مع الفلسطينيين. فيما رفض الفلسطينيون التعامل مع اليمين الفاشي واليمين المسيحي المتطرف[69].

[69] المصدر السابق.

2-2 التضامن منذ بداية الثمانينيات وحتى أوسلو

تقول لويزا مورجانتيني، النائب السابق لرئيس البرلمان الأوروبي، ومؤسس جمعية السلام الإيطالية وجمعية سيدات في الأسود، إن التضامن الأوروبي بشكل عام مع الفلسطينيين له تاريخ طويل، وفي العام 2004 نهض النشاط التضامني في مختلف أنحاء أوروبا، حيث كان هناك المئات وراء المئات من النشطاء الأوروبيين والدوليين جاءوا لفلسطين -وبشكل منتظم- ليروا بأعينهم حقيقة الاحتلال. هؤلاء النشطاء كانوا يعودون إلى بلادهم ومجتمعاتهم وجامعاتهم، ويتحدثون في محاضرات وجلسات حوارية، متحدين الرواية الإعلامية التي تسيطر عليها إسرائيل وروجت أن الفلسطينيين إرهابيون، وأن إسرائيل حامية الغرب من خطر الأصولية الإسلامية. ولكن تؤكد مورجانتيني أن الحركة الدولية للتضامن لم تبدأ عام 2004، إنما تعود لبداية الثمانينيات، حيث كان لمجزرة صبرا وشاتيلا وحصار مخيم برج البراجنة أثر كبير على التضامن الأوروبي، خاصة أنه حتى تلك الفترة كانت جهود التضامن تقتصر على الحركات السياسية، ولم تشمل أعداداً كبيرة من النشطاء والمؤيدين الأوروبيين. وهذا ما تغير بعد تلك الأحداث، حيث لم يعد ينظر إلى الفلسطينيين كفدائيين مقاتلين فحسب، إنما أصبحوا يعرفون كمجتمع كامل من اللاجئين له وجود وعائلات وتاريخ وأسماء. ومن ثم جاءت الانتفاضة الأولى لتعكس حقيقة الاحتلال، وفي تلك الفترة كان التضامن مع الانتفاضة منتشراً وله عدة أوجه، كالحركات السياسية التي كانت تدعو للتظاهر، وهناك لجان تقصي حقائق مع أناس جاءوا للتضامن مع المؤسسات غير الحكومية والأحزاب السياسية واللجان. فيما كانت أهم إحدى الفعاليات التضامنية الدولية

نهاية عام 1989 وجاءت بمبادرة وتنظيم من اليسار الإيطالي، عندما أقيمت سلسلة بشرية حول أسوار البلدة القديمة في القدس، من قبل 30 ألف فلسطيني وإسرائيلي أجنبي، طالبوا جميعهم بإنهاء الاحتلال، وبالاعتراف بمنظمة التحرير[70].

ولا يمكن الحديث عن التضامن في الانتفاضة الأولى، دون ذكر حركة "سيدات في الأسود"، وهي شبكة إسرائيلية قبل أن تصبح عالمية، وانطلقت خلال الانتفاضة الأولى حيث كانت تقف النساء بلباس أسود مرة بالأسبوع على مفترق طرق رئيسي في القدس، ويحملن لافتات سوداء مكتوباً عليها بالأبيض "أوقفوا الاحتلال". كنّ يأتين لنفس الموقع وفي نفس الموعد أسبوعياً، دون شعارات أو هتافات صوتية. ولم يمر وقت طويل، حتى أصبحت هناك وقفات في أماكن أخرى في الداخل المحتل، ولاحقاً انتشرت فكرة الوقفة حول العالم. ومع أن الحركة قامت ضد الاحتلال، إلا أنها الآن تنشط في العديد من المجالات غير الاحتلال. وتعرف الشبكة نفسها[71]:

> شبكة عالمية من النساء الملتزمات بالسلام مع العدالة ويعارضن بشدة الظلم والحرب والعسكرة وغيرها من أشكل العنف. وبما أن النساء يعانين من الأمور بأشكال مختلفة على اختلاف مناطق العالم، فإننا ندعم حركات بعضنا بعضاً. نحن لسنا منظمة، إنما سبل للتواصل وصيغة للعمل. وكثيراً ما تكون أعمالنا

[70] Luisa Morgantini, *European Solidarity with Palestine*, This Week in Palestine, 9/8/2014, retrieved on 1/5/2015 in https://goo.gl/N2BCSQ

على شكل نساء يرتدين الأسود ويقفن في مكان عام بصمت، للاحتجاج بشكل غير عنيف وفي أوقات وفترات زمانية منتظمة، ويحملن لافتات ويوزعن منشورات.[72]

ووفقاً للموقع الإلكتروني للشبكة، فإنهم لا يعرفون بالتحديد كم مجموعة للشبكة توجد حول العالم، ولا عدد النساء المنضمات لها، ولا عدد التحركات التي عقدوها. ويشيرون إلى عدد تقديري حوالي 10,000 سيدة لبين دعوة من الشبكة عام 2001 للاحتجاج ضد الاحتلال الإسرائيلي، حيث استجابت أكثر من 150 مجموعة حول العالم لنداء الشبكة[73].

ويبدو واضحاً من جميع القراءات والمراجع التي تحدثت عن التضامن الدولي مع الفلسطينيين، أن مرحلة الانتفاضة الأولى أحدثت انفراجة في التضامن الدولي مع الفلسطينيين، أو على الأقل تعززت أكثر، بعدما أثرت عليه عمليات خطف الطائرات المدنية من قبل الفلسطينيين، التي لم تكن مقبولة بشكل واسع في أوساط الدول المؤيدة للفلسطينيين. وهو ما أكده شعث بقوله:

قيام الانتفاضة الأولى، جدد النشاط الشعبي الذي ليس فقط مناهضاً سياسياً، إنما الذي يرى أن هناك عملاً نضالياً يجري في الضفة وغزة،

[72] About Women in Black, Woman in Black For Justice Against War, retrieved on 5/9/2014 in https://goo.gl/pa2ZHJ
[73] Ibid

وهناك شهداء ويجب دعمهم بشكل أكبر، وإدانة إسرائيل بشكل أكبر. فالانتفاضة وجدت نوعاً جديداً من الدعم في أوروبا وأمريكا (الشمالية) وأفريقيا وآسيا ودول عدم الانحياز[74].

وقبل الانتقال من الانتفاضة الأولى، لا بد على الأقل ذكر الحراك على المستوى الدولي، الذي أعقب إغلاق جامعة بيرزيت لأكثر من 15 مرة، كان أطولها 51 أسبوعاً حينما اندلعت الانتفاضة الأولى. حيث أخذ في حينه اهتماماً كبيراً من قبل الإعلام الأجنبي، الذي نقل بدوره الصورة البشعة للاحتلال، محدثاً حراكاً أكاديمياً وتضامنياً لافتاً[75]. وبشكل عام، تميز التضامن في الانتفاضة الأولى ليس فقط بالاتساع، وإنما كان نوعي وشعبي وأحدث تحول في النظرة العالمية للفلسطينيين من السلبية إلى الإيجابية، خاصة وأن الأسلوب الشعبي للانتفاضة ووضوح شعاراتها جذبت المتضامنين الدوليين بكافة أشكالهم. فيما أدى تراجع اعتماد الكفاح المسلح نمطاً أساسياً للعمل، إلى تراجع ظاهرة التضامن الفردي، والاندماج الميداني للمتضامنين، مع الفصائل الفلسطينية في كفاحها المسلح.

بعد الانتفاضة الأولى، أوجدت محادثات السلام في ذلك الوقت، والتي انتهت باتفاق أوسلو، تضامناً دولياً كبيراً مع الفلسطينيين، إلا أنه لم يعد يدعو لإنهاء الاحتلال بقدر ما تركزت كل أنشطة التضامن في تلك الفترة حول الحوار بين الفلسطينيين والإسرائيليين والتعايش بينهم.

---

[74] شعث، مقابلة شخصية

[75] Education under Occupation, retrieved 27/2/2018 in http://bit.ly/2BU5YwY

وسيبدو جلياً –لاحقاً– في فصول الرسالة، أن بعض مؤسسي حركة التضامن الدولية كانوا من نشطاء تلك الفترة، وقادوا حوارات التعايش بين الطرفين، حيث كان المركز الفلسطيني للتقارب بين الشعوب في بيت ساحور[76]، أول من عقد حوارات رسمية ودورية بين الإسرائيليين والفلسطينيين منذ الانتفاضة الأولى واستمرت لحوالي 12 عاماً[77]. وتقول مورجانتيني إن اتفاق أوسلو شهد ازدهاراً بأوروبا في المبادرات التي كانت تدعو الفلسطينيين والإسرائيليين من معسكر السلام للتحدث معاً حول إمكانيات السلام. ولأن هناك انطباعاً أصبح سائداً بين الجميع حتى بين النشطاء الشعبيين حول أهمية جمع الفلسطينيين والإسرائيليين للحديث عن فرص السلام، فإن هذا السراب الكاذب الذي أوجده أوسلو، جعل الحركة الدولية والرأي العام أقل التزاماً بفلسطين[78].

---

[76] المركز الفلسطيني للتقارب بين الشعوب: حسب ما ورد على موقعهم الإلكتروني، فإن المركز تأسس عام 1988 لهدف أساسي وهو تجسير الفجوات بين الفلسطينيين وشعوب العالم، وكانوا أول مجموعة في الضفة الغربية تعقد لقاءات حوار رسمية ودورية بين فلسطينيين وإسرائيليين. هذه الحوارات استمرت لأكثر من 12 سنة، على أمل إبقاء التعايش والسلام حيّين. لعب المركز دوراً مهمّاً في تنظيم العصيان المدني سنة 1989، الذي اتبعه سكان بيت ساحور ضد دفع الضرائب المفروضة من قبل الحاكم العسكري الإسرائيلي. كما دعم المركز لجان حماية الأرض بالتعاون مع إسرائيليين أعضاء في جلسات الحوار، وأهم قضية دعمها المركز كانت قضية جبل أبو غنيم، حيث نصب المركز خيمة لمدة أربعة أشهر بالتعاون مع متضامنين إسرائيليين ودوليين. وخلال الفترة نفسها ما قبل الانتفاضة الثانية، نظم المركز العديد من الزيارات التضامنية وعقد تدريبات للشباب والنساء. وخلال الانتفاضة الثانية، درب المركز العشرات من الشباب على المقاومة اللاعنفية، وشارك أعضاؤه في فعاليات تضامنية عدة حتى تشكلت حركة التضامن الدولية، حيث سخر المجلس في حينه 90% من جهوده ودعمه المالي للحركة، واستضافها، إلى أن انتقلت إلى رام الله. للمزيد: https://www.rapprochement.org/

[77] PCR History, The Palestinian Centre for Rapprochement between People, retrieved in 1/12/2014 in https://goo.gl/vsrHAx

[78] مورجانتيني، التضامن.

تطورت مع الوقت لدى الفلسطينيين خبرة في كيفية إدارة التضامن العالمي، وعلى سبيل المثال يقول شعث إن المشكلة في دول أفريقيا وآسيا أنه إما أن تكون الحكومة هناك داعمة لك وبالتالي تدعمك شعوبها، أو من الصعب العمل مع أحزاب ليست من ضمن الحكومة. في الدول الكبيرة كالهند مثلاً يمكن ذلك، فحزب المؤتمر الهندي عندما يصبح خارج الحكم يمكن أن نتعاون معه، حيث له قاعدة شعبية، ولكن جزءاً كبيراً من دول أفريقيا وآسيا لم تكن هناك إمكانية للعمل فيها إلا من خلال الحكومة.

أما في أوروبا وأمريكا اللاتينية وحتى أمريكا الشمالية، فيوضح شعث أنّ العمل بدأ يأخذ شكل العمل مع القوى السياسية على الأرض وليس فقط مع الحكومة. لاحقاً، بدأ العمل مع الحكومة وبدأت منظمة التحرير بفتح مكاتب في دول أوروبا، وبدأت بفتح علاقات شبه رسمية مع الحكومات، لكن الجهد الأكبر كان مع العمل مع القوى الشعبية.

وهنا كانت وجهتا نظر: الأولى "أن دورنا أن نعمل اتصالاً مع الشعوب والقوى الشعبية من خلال الإعلام الفلسطيني، لتغيير وجهة نظرهم تجاه إسرائيل إلى دعم الموقف الفلسطيني". وافترض الرأي الثاني أن الإعلام غير كافٍ، إنما نحن بحاجة إلى إقامة علاقات، وهو ما بدأه أبو عمار بالعلاقات مع الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية (الأحزاب الشيوعية بدأنا العلاقات معها من خلال موسكو)، أما الأحزاب الاشتراكية، فبدأ العمل معها من خلال رئيس الاشتراكية الدولية، المستشار النمساوي، برونو كرايسكي (1970–1983)، وأولوف بالميه رئيس وزراء السويد

(1969–1976) و(1982– 1986)، وزعيم الحزب الديمقراطي الاجتماعي، مستشار ألمانيا سابقاً فيلي برانت (1969–1974).

وهؤلاء الثلاثة كما يوضح شعث "أول من فتح لنا العلاقة مع أوروبا، وأدخلونا كأعضاء مراقبين في الاشتراكية الدولية". "فتح" التي دخلت الاشتراكية، فيما اليسار الفلسطيني أبقى على علاقاته مع الأحزاب الشيوعية والماركسية في أوروبا، وفي المقابل، فالأحزاب الاشتراكية الديمقراطية لها أصول ماركسية، ولكنها أصبحت أقرب إلى اليسار الوسط أكثر منه إلى اليسار، وهذه الأحزاب كانت حاكمة وتنجح في الانتخابات ليس فقط كأحزاب معارضة. "منها بدأنا العلاقة معها كأعضاء مراقبين، ولم نكتفِ بأحزاب محددة، إنما فتحنا العلاقة مع كل التيارات عدا الفاشيين المتطرفين"[79].

2-3 التضامن الدولي منذ الانتفاضة الثانية

لم يدم الانطباع حول أهمية بدء حوارات سلام كثيراً، خصوصاً بعد أن اندلعت الانتفاضة الثانية، وعاد المئات من النشطاء الدوليين إلى فلسطين بعد دعوات أطلقتها عدة جهات من فلسطين، كمركز التقارب بقيادة غسان أنضوني، والمجموعة التي كانت تقودها آنذاك نيتا غولاني، وشبكة المنظمات الأهلية الفلسطينية، وغيرها من المبادرات الأخرى، وبجهود شخصية كجهود لويزا مورجانتيني وهويدا عراف[80]، وغيرهما من النشطاء الذين ساهموا في استقطاب النشطاء

---

[79] شعث، مقابلة شخصية

[80] تعمل هويدا (عند إجراء هذه الدراسة) كمحامية في الحقوق المدنية والإنسانية، وتسكن في الولايات المتحدة بعدما أبعدت إسرائيل زوجها آدم شابيرو ومنعته من دخول فلسطين بعد اعتقاله خلال إحدى فعاليات الحركة. ومع أنها ولدت ونشأت في الولايات المتحدة، لكنها دائماً كانت تود العودة إلى فلسطين، حتى أنهت شهادة البكالوريوس وعادت إليها قبل أشهر من اندلاع الانتفاضة الثانية. بقيت في

الدوليين. ومما لا شك فيه، أن التضامن في الانتفاضة الثانية تعرض أيضاً لعوامل سلبية أثرت عليه بشكل كبير، خاصة فيما يتعلق بالعمليات الاستشهادية ضد المدنيين وعسكرة الانتفاضة، التي أوجدت أصواتاً عالمية مناهضة لذلك. واختلفت هذه العوامل السلبية في مرحلة ما بعد 2004، وتحولت فيها الانتفاضة العسكرية إلى مقاومة شعبية سلمية وغير عنيفة، واجتذبت اهتماماً دولياً لافتاً أفضى لإنجازات فلسطينية مهمة ستبين لاحقاً في الفصل القادم. وربما أهم مبادرة لتعزيز التضامن الدولي هي تأسيس اللجان الشعبية ضد الاحتلال والجدار، حيث أصبح نضالهم السلمي ليس فقط أداة مقاومة، إنما نهج حياة وثقافة بديلة ومعارضة للعسكرة. وأظهرت هذه التجربة أهمية تطوير القيادة الشعبية والاستقلال عن الأحزاب السياسية"[81].

وخلال هذه الحقبة تأسست حركة التضامن الدولية التي هي أساس هذه الرسالة، لكنها لم تكن الوحيدة، فهناك الحملة الشعبية لمقاومة الجدار[82]، وشباب ضد الاستيطان[83]، والـ

فلسطين حتى سنة 2004 عندما قررت استكمال دراستها في المحاماة قبل أن تعود إلى فلسطين نهاية 2007 لتستكمل نشاطها ليس في حركة التضامن الدولية مباشرة، إنما في قوافل سفن الحرية التي كسرت الحصار على القطاع. وخلال تلك السنوات، تزوجت هويدا بآدم سنة 2002، وفي 2012 قرر الاثنان الاستقرار وإنشاء عائلة، حيث استقرا معاً في الولايات المتحدة، بعدما كانت هويدا مستقرة في فلسطين وزوجها في الولايات المتحدة.

[81] شعث، مقابلة شخصية

[82] تعرف الحملة عن نفسها بأنها الحملة الشعبية الوطنية الرئيسية التي تقوم بتعبئة وتنظيم الجهود الجماعية ضد جدار الفصل العنصري، فيما تقوم الحملة على جهود اللجان الشعبية في القرى المتضررة من الجدارة. وتحدد الحملة أهدافها بأربع نقاط وهي؛ وقف بناء الجدار فورا؛ تفكيك أجزاء الجدار التي بنيت في الأصل؛ استرجاع الأراضي المصادرة؛ وتعويض الأضرار. للمزيد: http://bit.ly/2oPg3UL

[83] شباب ضد الاستيطان: مجموعة شبابية فلسطينية تسعى إلى إنهاء بناء وتوسع المستوطنات الإسرائيلية الغير قانونية، عن طريق العمل المباشر الغير عنيف، ومن خلال النضال الشعبي السلمي والمقاومة المدنية. فيما تقوم رؤيتها على انتفاضة عصيان مدني فلسطينية جماعية غير عنيفة، للضغط على الحكومة الإسرائيلية من أجل تفكيك المستوطنات وإنهاء الاحتلال. للمزيد: موقع المجموعة على الانترنت (Youth Against Settlements) http://bit.ly/2D7Yqnf

International Women's Peace Service[84]، ومنظمة "المدافعين عن حقوق الإنسان في فلسطين"[85]، وحملات التضامن Palestine Solidarity Campaign[86].

وفي العام 2005، أطلق النداء الأول من قبل منظمات المجتمع المدني الفلسطينية لحركة مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها، وفرض العقوبات عليها (BDS)، كنوع من الضغط غير العنيف على إسرائيل. وقد أطلقت الحركة من قبل 107 نقابات فلسطينية، وأحزاب سياسية، وشبكات اللاجئين، ومؤسسات نسوية، وهيئات مهنية، ولجان المقاومة الشعبية، وغيرها من هيئات المجتمع المدني الفلسطيني. وتدعو الحركة للضغط على إسرائيل حتى تمتثل للقانون الدولي، مستوحين تجربة جنوب أفريقيا، من خلال ثلاثة مطالب، وهي: إنهاء الاحتلال والاستعمار لجميع الأراضي العربية، وتفكيك الجدار، والاعتراف بالحقوق الأساسية للمواطنين العرب الفلسطينيين في إسرائيل على قدم المساواة الكاملة مع المواطنين الإسرائيليين، واحترام وحماية وتعزيز حقوق

---

[84] International Women's Peace Service: فريق من المتطوعين في مجال حقوق الإنسان ومقره في دير إستيا قضاء سلفيت، يقدمون مرافقة دولية للمدنيين الفلسطينيين، ويوثقون ويتدخلون بشكل غير عنيف في انتهاكات حقوق الإنسان، ويدعمون أنشطة المقاومة الغير عنيفة لإنهاء الاحتلال الإسرائيلي الغير شرعي وبناء جدار الفصل العنصري. وهم الفريق الدولي الوحيد المكون من النساء يعمل في الضفة الغربية المحتلة، والفريق الدولي الوحيد الذي يعمل في سلفيت. للمزيد: http://bit.ly/2FhWUoy

[85] شبكة "مدافعون عن حقوق الإنسان الفلسطيني": تشكلت الشبكة بمبادرة من المركز الفلسطيني لاستقلال المحاماة والقضاء "مساواة" وتنفيذا لمشروع تمكين المدافعين عن حقوق الإنسان الفلسطيني الممول من الاتحاد الأوروبي، وتستند رؤيتها إلى الدفاع عن حقوق المدافعين عن حقوق الإنسان الفلسطيني في حال تعرض أحدهم إلى انتهاك أثناء العمل وهم المحاميين والإعلاميين والحقوقيين والنقابيين وممثلي مؤسسات المجتمع المدني والفعاليات المجتمعية مثل المؤسسات النسوية والشبابية وأعضاء المجلس التشريعي وغيرهم. للمزيد، أنظر موقع الشبكة: http://bit.ly/2oWs1uT

[86] Palestine Solidarity Campaign: مجموعة من الناس الذين يعملون معا من أجل السلام والمساواة والعدالة ومكافحة العنصرية والاحتلال والاستعمار، وهم أكبر منظمة في بريطانيا مكرسة لتأمين حقوق الإنسان الفلسطينية. وتعتقد الحملة أن استهتار إسرائيل بالقانون الدولي، واستمرارها باحتلال فلسطين عسكريا، والتمييز الممنهج ضد الفلسطينيين، أمر غير مقبول ولذلك عليهم اتخاذ إجراءات ضد ذلك. فيما تعتمد الحملة على التبرعات تماما، وترفض التبرعات السياسية أو المشروطة. للمزيد، موقع الحملة: http://bit.ly/2FxA0c8

اللاجئين الفلسطينيين في العودة إلى ديارهم وممتلكاتهم، كما هو منصوص في قرار الأمم المتحدة رقم 194.

وتؤكد الحركة أنها ترفض كل أشكال التمييز، بما في ذلك معاداة السامية وكره الإسلام (Islamophobia)"[87].

استمرت العلاقة الفلسطينية مع الأحزاب الاشتراكية الأوروبية، وتعاظمت. ويقول نبيل شعث: أصبح اعتمادنا (في السنوات الأخيرة– بعد العام 2010)، على العلاقات الحزبية كإطار لدعم التضامن الشعبي مع فلسطين أقوى بكثير من أي فترة سابقة. وأصبحت لدينا علاقات تحالف مع ثلاث كتل من الأحزاب الأوروبية: الاشتراكية الديمقراطية، واليسار الموحد، والخضر. هذه الأحزاب الثلاثة بكوادرها، صارت تغذي مؤسسات التضامن الشعبية Palestine Solidarity Campaigns. فمثلاً حزب العمال البريطاني تبنى PSC ولديه تنظيم اسمه Labor For Palestine، وإطار عملهم من خلال الـPSC.

عملياً أصبحت هناك علاقة ما بين الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية واليسار الموحد والخضر، مع النشاطات الجماهرية التي لا يزال شعارها PSC.

[87] What is BDS?, BDS Movement, retrieved in 4/2/2014 on https://goo.gl/GiHphe

وقد تغير الإطار الذي نطلبه من هذه القوى، ولكن بشكل عام دائماً كنا نطلب منهم الوقوف في وجه الاحتلال الإسرائيلي والتفرقة العنصرية الإسرائيلية والاستيطان، وتحرير الأسرى من السجون الإسرائيلية، ووقف الهجمات العسكرية، وخصوصاً على غزة. وبشكل عام، فالمطالب كانت لدعم الشعب الفلسطيني من أجل حقه في تقرير المصير ودعمه من أجل حقه في العودة، أي أن أهدافنا السياسية كنا نترجمها في صورة شعارات ونطلب من القوى الشعبية أن تقف معنا فيها.

ويوضح شعث ازدياد أهمية العلاقة مع هذه الأحزاب بعد أن "أصبحنا نطالب بدولة فلسطينية مستقلة وليس فقط بحق تقرير المصير، وأصبحنا نطالب بوقف الاستيطان حيث أصبح جزءاً مهماً من نشاطنا، ونطالب بموضوع الأسرى الذي أخذ جزءاً مهماً في نضالنا الشعبي"[88].

ويضيف شعث أن النضال الشعبي المرتبط بحراك حزبي وبرلماني، في أوروبا، أصبح يستعين بخبرة جنوب أفريقيا، فالأخيرة بخبرتها الواسعة في هذا النوع من النشاط، أصبحت حليفاً رئيسياً لـ"فتح" وفلسطين، و"بالتالي تساعدنا بكوادرها وأفكارها وتاريخها وتراثها في هذا الموضوع، للدخول في عدة نشاطات للنضال الشعبي مع دول العالم"[89].

أصبحت حركة "فتح" عضواً كامل العضوية في الاشتراكية الدولية، وفي المنتدى التقدمي العالمي. وأصبحت هناك علاقات حزبية متطورة، بين فتح وحزب العمل البريطاني، وفتح والحزب

---

[88] شعث، مقابلة شخصية

[89] المصدر السابق

الاشتراكي السويدي، وما بين فتح والحزب الاشتراكي الديمقراطي الألماني، وهكذا. هذه العلاقات كما يوضح شعث "ساعدتنا بأن نصعد من الشارع إلى الحزب (والعكس بالعكس، لأن الحزب يؤثر على الشارع ويتأثر من الشارع) ومن الأحزاب إلى البرلمانات ومن البرلمانات للضغط على الحكومات".

وبحسب شعث أيضاً، فنحن لا نضغط بشكل مباشر على الحكومة، إنما شعب– أحزاب– حكومة– برلمان. هذا الضغط الذي أدى في العام 2014، لجلب اعتراف 9 برلمانات ودولة واحدة، وهي السويد، وبناء على وعد الحزب الاشتراكي الديمقراطي السويدي في حال نجح في الانتخابات، فسيتعرف بفلسطين اعترافاً كاملاً، ونفذوا هذا الوعد. والضغط على البرلمانات لم يكن ممكناً سابقاً، حيث لم تكن هناك علاقات مع هذه الأحزاب في صميم قياداتها وكوادرها، وليس ذلك فقط، وأحياناً ننشط كوادرها لتضغط على قياداتها؛ فمثلاً الحزب الاشتراكي الفرنسي استجاب للطلب الفلسطيني، ليتخذ قراراً ضد حكومته حتى تقبل التصويت مع عضوية فلسطين في الأمم المتحدة يوم 2014/12/2.

ما ساعد في كل ذلك وجود تغيّر حقيقي في الرأي العام في أوروبا بشكل عام، وهذا التغيّر سببه بشكل مباشر الإعلام. فمع التغطية الإخبارية اطلع الرأي العام على ما تفعله إسرائيل في غزة والضفة، ولم تعد هناك الهالة التي تحيط بإسرائيل الشعب المضطهد المسحوق والهولوكوست (المحرقة النازية ضد اليهود في الحرب العالمية الثانية).

والسبب الثاني أن هناك تغيراً في أوروبا، فالجيل الأوروبي الذي قام بالهولوكوست مات، والأجيال المتعاقبة منعت أي تفرقة ضد اليهود، ولم يعودوا يرون أي مسؤولية عليهم. وبالتالي فهناك قضايا أخرى أصبحت تهم الرأي العام، منها: الحرية، وحقوق الإنسان، وحق تقرير المصير، والاستقلال، وهذه قيم مهمة للأوروبيين.

ذات الشيء حصل مع أمريكا اللاتينية، فالأخيرة بتقلص حكم الديكتاتوريات العسكرية التي كانت تساندها الولايات المتحدة، وعندما أصبح الربيع الأمريكي- اللاتيني وأتت حكومات اشتراكية وديمقراطية، ضغطت كل شعوب أمريكا اللاتينية على حكوماتها من أجل الاعتراف بفلسطين[90].

[90] المصدر السابق

الفصل الثالث:

حركة التضامن الدولية (ISM)

سيتناول هذا الفصل تاريخ حركة التضامن الدولية؛ تأسيسَها وأعضاءها ومبادئها وفلسفتها، وكيف عملت في فلسطين منذ الانتفاضة الثانية، بالإضافة إلى البحث في مصادر تمويلها، وطبيعة العلاقة بين الحركة الشعبية الفلسطينية في الميدان، وحركة التضامن الدولية. وستتضح في ثنايا الفصل، آلية عمل الحركة، وهي نفسها آلية عمل الحركات العابرة للحدود حول العالم، وتحديداً المرافقة، ومواجهة المعلومات و"الكيد المرتد"، وكيف اعتمدت الحركة على هذه الآليات، ومتى بدأت بالانتقال في آلياتها من المرافقة إلى مواجهة المعلومات و"الكيد المرتد".

3-1 التأسيس والمؤسسون

تُعرف حركة التضامن الدولية عن نفسها في موقعها الإلكتروني الرسمي بأنها

> حركة نشأت سنة 2001 ويقودها فلسطينيون، ملتزمة بمقاومة الاضطهاد والتشريد الممنهج والراسخ ضد الشعب الفلسطيني، باستخدام مبادئ وأساليب عمل مباشرة وغير عنيفة. وتهدف الحركة إلى دعم وتمكين المقاومة الشعبية الفلسطينية من خلال الوقوف دائماً إلى جانب الفلسطينيين في حقول الزيتون، وذهاب الطلبة إلى المدارس، وفي التظاهرات والقرى التي يتم الاعتداء عليها، وعند البيوت التي تتعرض للهدم

أو حيثما يتعرض فلسطينيون للمضايقة دائماً من قبل الجنود أو المستوطنين، فضلاً عن العديد من الحالات الأخرى[91].

ومع أن هذا التعريف قد يعتبر فضفاضاً لحركة بحجمها، إلا أنه واضح ويضع شروط عمل الحركة بوضوح، وكذلك أهدافها. أولاً، مع أن اسم الحركة لا يذكر فلسطين، إلا أن التعريف يؤكد أن الفلسطينيين هم من يقودون الحركة، وهو ما كان مثار خلاف داخل الحركة في أكثر من مناسبة، كما سيجري إيضاحه لاحقاً. ثانياً، حددت الحركة أسلوب عملها، وهو أسلوب العمل المباشر وغير العنيف، أي أنها لن تشارك أو تدعم بأي شكل من الأشكال أي نشاط عنيف أو غير سلمي. ثالثاً، حددت الحركة بوضوح أنها تدعم المقاومة الشعبية الفلسطينية فقط، ولم تقل المقاومة الفلسطينية، أي أن الحركة لن تدعم إلا المقاومة الشعبية، وبالتالي سيكون وجودها مرتبطاً بوجود مقاومة شعبية.

3-1-أ التأسيس

لا يمكن الحديث عن تأسيس حركة التضامن الدولية، دون الرجوع لمؤسسيها الرئيسيين، الذين أجمعوا على عفوية تأسيس الحركة دون مرجعيات سياسية أو فصائلية، وإنما كانت اجتهاداً منهم جميعاً على أهمية تواجد الدوليين في فلسطين، بعدما أخفق المجتمع الدولي ومؤسساته في حماية الفلسطينيين وممتلكاتهم. ولأن الحركة لم تكن لها مرجعية واحدة أو موحدة، تروي تفاصيل

[91]About ISM, International Solidarity Movement, retrieved in 10/11/2014 on https://goo.gl/gcuYgM

التأسيس، جرى الاعتماد فيما يلي على شهادات بعض مؤسسيها واللاعبين الأساسيين في تلك الفترة تحديداً، مع ضرورة الإشارة إلى أن معظم من أسسها غادر لاحقاً لأسباب مختلفة، سيتم التطرق لها لاحقاً.

من خلال تتبع تأسيس الحركة ومقابلة جميع مؤسسيها الرئيسيين، يمكن القول إن فعالية "عش غراب" في كانون الأول عام 2000، كانت أول تجمع غير رسمي، وبالصدفة، لكل مؤسسي الحركة، عندما تجمع أكثر من 300 فلسطيني ودولي في بيت ساحور، واتجهوا إلى معسكر إسرائيلي يدعى "شجما"، أو كما يسميه الفلسطينيون "عش غراب"، حيث تم اقتحام المعسكر ورفع العلم الفلسطيني على البرج الذي يقف فيه الجنود، واحتل النشطاء المعسكر لأكثر من ثلاث ساعات. وقد تفاجأ الجنود، لأنها المرة الأولى التي يحصل فيها مثل هذا الشيء، وخاصة تواجد الأجانب مع الفلسطينيين، ولم يستطيعوا فعل أي شيء إزاء ذلك. وما أشهر الحدث هو تفاعل الصحافة الإسرائيلية معه، حيث بدأت بانتقاد الجيش حول كيف يمكن أن يقتحم المعسكر من قبل مجموعة من هذا النوع، وفي المقابل، حاول الجيش الدفاع عن نفسه بادعاء أن المجموعة لم تقتحم المعسكر وإنما اقتحمت منطقة كانوا يخططون لإخلائها. وحينها كان الطرح أنه إذا كنتم فعلاً تفكرون بذلك، فأخلوها وأرجعوها للفلسطينيين، الأمر الذي خلق ضجة وبدأت تنتبه الناس لما يحصل في بيت ساحور[92]، علماً بأن هذه الفعالية كانت من ضمن سلسلة فعاليات بدأت في

[92] غسان أنضوني، مقابلة شخصية، فلسطين، 8 تشرين الأول 2016

بيت ساحور منذ بداية الانتفاضة الثانية، ولكنها امتداد لتاريخ بيت ساحور في المقاومة الشعبية، وتحديداً تجربة العصيان المدني عندما قرر سكانها في الانتفاضة الأولى مقاطعة المنتجات الإسرائيلية ورفضوا دفع الضرائب للاحتلال. ويرجع غسان أنضوني[93] جذور حركة التضامن الدولية في فلسطين إلى الانتفاضة الأولى، عندما تأسس مركز التقارب بين الشعوب، الذي استطاع تأسيس علاقات دولية كبيرة. والسبب لذلك وجود تجربة العصيان المدني في بيت ساحور، التي جذبت انتباه الناس، وأصبح هناك توجه كبير لزيارتها والكتابة عنها. ولكن فعليّاً، بدأت حركة التضامن الدولية ليس على شكل حركة، وإنما على شكل حملات (Campaigns)، وكان اسمها آنذاك International Solidarity Campaigns، وهذه الحملات بدأت في بيت ساحور مع بداية الانتفاضة الثانية[94].

يثني على ذلك، مع تفصيل تاريخي أكثر، البروفيسور في جامعتي بيت لحم وبيرزيت ومؤلف كتاب "المقاومة الشعبية في فلسطين: تاريخ من الأمل والتمكين"، مازن قمصية، حيث يرجع تاريخ حركة التضامن الدولية، إلى سنة 1988 مع تأسيس مركز تقارب الشعوب سنة 1988 في بيت ساحور، إبان العصيان المدني، وهذه بدايتها. فعندما حاصرت السلطات الإسرائيلية بيت ساحور لرفض سكانها دفع الضرائب، وقد طال الحصار، فكر الأهالي بالاستفادة

---

[93] غسان أنضوني: فلسطيني من بيت ساحور، أحد مؤسسي حركة التضامن الدولية، وكان مديراً للمركز الفلسطيني للتقارب بين الشعوب، وأثناء إعداد هذه الدراسة، كان بروفيسوراً متفرغاً يحاضر في جامعة بيرزيت في علوم الفيزياء.

[94] أنضوني، مقابلة شخصية

من علاقاتهم الجيدة مع الأجانب، بحكم السياحة وبيعهم للمنحوتات الخشبية، وبحكم الدين أيضاً، فاتصلوا مع الأجانب الذين يعرفونهم، حيث تسللوا إلى بيت ساحور، وخرجوا بمسيرة سارت من الكنيسة الرئيسية في بيت ساحور باتجاه الحاجز الفاصل بين بيت لحم وبيت ساحور في شهر تشرين الأول عام 1989. وقد كان سبب إنهاء الحصار من قبل الاحتلال هو تظاهر أجانب وإسرائيليين مع الفلسطينيين على الحاجز بين بيت ساحور وبيت لحم، ومع انتهاء الحصار بسبب المقاومة الشعبية، شعر أهل بيت ساحور بأهمية تواجد الأجانب.

في التسعينيات، كان مركز "تقارب" يدعو الأجانب إلى التواجد أكثر في التظاهرات آنذاك، علماً بأن التظاهرات في التسعينيات كانت قليلة، لاعتقاد الناس أن السلام حل بعد معاهدات أوسلو. وفي الفترة ما بين 1993 و2000، هدأت الأمور بسبب الحديث عن السلام بعد أوسلو، وهذا الهدوء أثر على نسبة تواجد الأجانب. وبعد بداية الانتفاضة الثانية سنة 2000، وجد الناس أهمية عمل شيء أقوى، فرجعت المقاومة الشعبية والمسلحة في نفس الوقت[95].

وبعد نجاح فعالية "عش غراب"، بدأ بعدها التفكير بحملات متكررة، فتم إصدار دعوات عبر الإنترنت ليشارك الناس في فعاليات، كحملة إزالة حواجز أو حملة منع كسر تجول على سبيل المثال، والمفاجأة كانت أن الكثير من الناس الذين وصلتهم الدعوة كانوا يأتون فعلاً للمشاركة، وبدأت الحملات تكبر، وحققوا إنجازات بإزالة حواجز وفتح طرق وغيرها من الفعاليات. وأهم حدث

[95] مازن قمصية، مقابلة شخصية، فلسطين، 30 تشرين الثاني 2014

جرى عندما اقتحم الاحتلال بيت جالا، فتم تجميع ما بين 200–300 شخص أجنبي ومحلي وخرجوا إلى الشارع، حيث أطلقت النيران باتجاههم وأصيب ثمانية من المشاركين، وحدثت ضجة كبيرة خلقت اهتماماً أكبر.

ويقول أنضوني إن الفكرة التي خرج بها للدوليين هي كالآتي: بدلاً من الوقوف حاملين علماً أو رسائل لأعضاء في الكونغرس أو البرلمانات مثلاً، نحن فتحنا لكم منصة لتأتوا إلى فلسطين لتشاركوا في مقاومة الظلم الذي يحصل هنا. والناس استهواها هذا الشعار وكانت الأعداد بداية بالعشرات وأصبحت بالمئات. وفي تلك الفترة، تعرف غسان على نيتا جولاني[96]، التي كانت تنشط في قرية حارس، حيث كنت "تجنزر" نفسها بأشجار الزيتون لمنع تجريفها، وأصبحت لاحقاً من الفريق، وصارت تساعد في الترتيبات[97].

وعندما توسعت الحملات، وتبين تجاوب الناس في الخارج مع الرسائل والدعوات، فمنهم من كان يجمع أعضاء كنيست، ومنهم من كان يجمع المركز المجتمعي في منطقته، ومنهم من كان يجمع طلبة من جامعته، وهناك أناس يحجزون تذاكرهم ويأتون بأموال قليلة لتغطي تكاليف

---

[96] نيتا جولاني: ناشطة إسرائيلية، ولدت في تل أبيب وتحمل الجنسية الكندية، تزوجت من فلسطيني وتعيش حاليّاً في نابلس. عملت قبيل بداية الانتفاضة الثانية (عام 2000) وخطيبها، وهو زوجها حاليّاً، في السياحة البديلة "Alternative Tourism"، بحيث كانا يأتيان بدوليين أو إسرائيليين إلى الضفة كسياح، ولكن بهدف سياسي وهو اطلاعهم على الأوضاع على الأرض وليستمعوا من الفلسطينيين. وفي حينه، كانت لكليهما وظيفة، وبالتالي كانا يقومان بالسياحة البديلة في عطلة نهاية الأسبوع كنوع من النشاط السياسي، ويصطحبان السياح إلى نابلس ومخيم بلاطة والبلدة القديمة.

[97] أنضوني، مقابلة شخصية.

معيشتهم في فلسطين؛ كان غسان وزملاؤه فقط يدربونهم ويعملون مقابلات معهم خوفاً من أن يتم اختراقهم أو أن يأتي أشخاص قد يعرضون أنفسهم أو زملاءهم للخطر، بسبب حماسهم الزائد أو التهور للبطولة. فكانوا يجرون تدريبات مكثفة في فندق في بيت ساحور، وأحياناً في فنادق ببيت لحم.

لاحقاً، تعرف أنضوني على هويدا عراف، وكان معها من صار زوجها لاحقا آدم شابيرو، واجتمعوا في كافتيريا جامعة بيرزيت بحضور جورج رشماوي ونيتا جولاني أواسط عام 2001، وهنا طرحت فكرة تحويل الحملة إلى حركة، خصوصاً أنهم كانوا يفكرون بحملات ضخمة في الصيف وخلال موسم قطف الزيتون، كإزالة حواجز والنوم تحت الدبابات وكسر حصار أو منع تجول. فكانوا يأملون باستقطاب المئات من النشطاء ونشرهم من الشمال إلى الجنوب. ويذكر غسان أن شابيرو كان معترضاً على العمل الجماعي المشترك بين الجميع، حيث كان يشعر أن العمل سيكون بقيادة مجموعة بيت ساحور، وبالنهاية اتفق كل من غسان وجورج ونيتا وهويدا على أن يبدأوا بحركة التضامن الدولية. ومن هناك انطلقوا وعملوا معاً وفتحوا مكاتب وتواجدوا في المناطق ذات الظروف الصعبة كمخيمات نابلس ومخيم جنين والخليل ومنطقة بيت لحم ورفح. وكان يصلهم أسبوعيّاً ما لا يقل عن 50–60 طلب مشاركة. وفي حينه، تم تقسيم المشاركين إلى نوعين: نوع يأتي لفترة زمنية طويلة تمتد لثلاثة أشهر، وكانت عليهم واجبات للمساعدة في إدارة الحركة، ونوع

آخر كان يأتي لفترة قصيرة، بحد أقصى ثلاثة أسابيع. وهذه هي نقطة البداية للحركة بنظر غسان[98].

لم يكن لديهم تمويل في حينه، وكانوا واضحين مع النشطاء منذ البداية: عليكم التكفل بتأمين تذاكركم ومصاريف المعيشة، ولديكم خياران: المبيت في المكتب مقابل دفع 20 شيقلاً في الليلة، أو المبيت عند عائلة فلسطينية مقابل مبلغ معين، وفي حال لم تقبل العائلة أخذ مقابل، يتعين على الناشط أن يساعد العائلة بأن يشتري مواد تموينية مثلاً لهم. وكانوا مجبرين أيضاً على تغطية تكاليف اتصالاتهم، وكانت كل مجموعة تأتي بمصروفها وفائض قليل لتغطية تكاليف الهواتف والتنقل. واستمرت الحركة دون أي "فلس" تمويل ما عدا من أعضائها، وبدأت المشاكل عندما أصر بعض الأفراد المتعاطفين على التبرع، وأصبح هناك حديث حول الحاجة لتوظيف ناس في الحملة، فرفض أنضوني الفكرة، ومن هنا بدأت مشاكل الحركة، حيث كان يعتقد أن الحركة يجب أن تستمر كما هي عليه[99].

استقطبت الحركة خلال أول ثلاث سنوات من الانتفاضة، عدة آلاف من المتضامنين. ففي الأسبوع الواحد، كانوا يستقبلون ما لا يقل عن 40 شخصاً يتم تدريبهم ومن ثم إرسالهم إلى الميدان، ويستقبلون مثلهم الأسبوع اللاحق وهكذا. وخلال التدريب، كانوا يعطون النشطاء فكرة دقيقة حول المجتمع الفلسطيني حتى يستطيعوا العيش فيه، ومع شرح لتقاليد وعادات المجتمع،

---

98 أنضوني، مقابلة شخصية

99 المصدر السابق.

وتدريب على المواجهة غير العنفية، وتدريبات على طرق اللاعنف، وبعض التدريبات التي يقصد منها أن يعرفوا شخصيات وخلفيات كل واحد من النشطاء. وبطبيعة الحال ومع مرور الزمن، أصبحت لديهم مكاتب في الخارج، حيث فتح بعض النشطاء أبواباً للحركة في بلادهم بعد مغادرتهم الأراضي الفلسطينية، وأصبحوا هم من يفحصون النشطاء الذين ينوون القدوم هنا. فقد تورطت الحركة في بعض النشطاء، حيث تم اختراقها في فترة من الفترات بمجيء أشخاص من المخابرات الإسرائيلية. وفي إحدى المرات، حضر باكستانيان ليس عن طريق الحركة، وإنما زارا مكتبها في رفح وشربا الشاي هناك، وعندما دخلا إلى القطاع وسئلا عن كيفية مجيئهما إلى الأراضي الفلسطينية، قالا إنهما جاءا للسياحة البديلة، وعندما تركا غزة، نفذا عملية في تل أبيب حيث فجرا أنفسهما. وكاد ذلك يصيب الحركة بضرر شديد، فالخطورة في عمل الحركة لم تكن فقط في المواجهات مع الجيش وإطلاق النار وقتل وجرح واعتقال نشطاء، وإنما أيضاً كان هناك خطر داخلي؛ فالحركة تأتي بنشطاء من 70–80 دولة، وليس بالضرورة أن يتم اكتشاف خلفية كل من يأتي[100].

جاءت معرفة نيتا جولاني لأنضوني من خلال مركز التقارب الذي كان يحتضن جلسات حوار بين الفلسطينيين والإسرائيليين، حيث كان يدير المركز في حينه، وتعرفت أيضاً على جورج رشماوي مدير المركز حالياً (حتى وقت إعداد هذه الدراسة على الأقل)، وكان يعمل مع أنضوني

[100] المصدر السابق.

في تلك الفترة. وترى جولاني أن الحركة نتجت عبر تلك الحوارات، حيث جاءت كتجمع لأفراد لديهم نفس الهدف والرؤية والتقوا معاً. وباعتقادها، وتحديداً في الفترة التي سبقت اندلاع الانتفاضة الثانية، أن رسالة الفلسطينيين كانت واضحة بأن الأوضاع ستنفجر، في وقت كان العالم يعتقد أن هناك سلاماً على الأرض والأوضاع هادئة وهناك مفاوضات جارية. فقبل ذلك، كانت جولاني تعمل في الحوار بين الفلسطينيين والإسرائيليين، حيث لم يكن هناك قبل سنة 2000 قرار يتعلق بالتطبيع، وكان الأوروبيون ينفقون أموالاً طائلة في الحوارات بين الشعبين، وكل الجهود العالمية كانت تتمحور حول تعزيز فرص السلام. ولكن على أرض الواقع، كان الوضع يتدهور، حيث المستوطنات تنمو بوتيرة متسارعة والطرق الالتفافية كانت فعليّاً البنية التحتية لحصار المدن الفلسطينية وإغلاقها لاحقاً، وحقيقةً، كانت الحوارات والمفاوضات ومباحثات السلام وكأنها ستار دخاني للاحتلال وتعمقه على أرض الواقع، حتى عام 2000، حيث اندلعت الانتفاضة[101].

وبعد اندلاع الانتفاضة الثانية، أمضت جولاني الشهر الأول في القدس معتصمة أمام مكتب رئيس الوزراء، مع نشطاء إسرائيليين آخرين، ولاحقاً، عندما قُصفت بيت ساحور، خططت مجموعة من النشطاء الإسرائيليين والدوليين للذهاب إلى بيت ساحور، وتحديداً إلى مركز التقارب وأصدروا بياناً صحفيّاً، بأنهم هنا تحت القصف يتضامنون مع أهالي بيت ساحور. حينها، تلقت نيتا اتصالاً من لويزا مورجانتيني العضو الإيطالي في البرلمان الأوروبي وتعتبر من أهم مناصري

[101] نيتا جولاني، مقابلة شخصية، فلسطين، 25 نيسان 2015

القضية الفلسطينية، تعرب عن سعادتها بما جرى وتشجعها وتدعوها إلى الحديث في تظاهرة تضامن مع الفلسطينيين كانت ستجري في روما. وفي حينه أيضاً، اتصل بها ناشط إسرائيلي يستفسر كيف يمكنه أن يساعد في ظل ما يجري على الأرض، وطلبت منه أن يتوجه إلى قرية حارس قضاء محافظة سلفيت. وكانت حارس آنذاك مغلقة تماماً، ولم يكن سكانها يستطيعون الخروج أو الدخول إليها حتى على الأقدام، علماً أن موسم قطف الزيتون كان وشيكاً، وكان المستوطنون يتعمدون استفزاز شباب القرية لتندلع مواجهات مع جيش الاحتلال وينسحب خلالها المستوطنون. وفي اليوم الذي قررت نيتا ومن معها الوصول لحارس، وجدوا مدخل القرية مغلقاً من قبل الجيش وأمن المستوطنين، حيث كانوا يقفون هناك ويقابلهم من جهة القرية شباب، فوقفت نيتا بين الطرفين، فيما توجه الناشط الإسرائيلي للحديث مع القوات المتواجدة، حيث كان قد خدم في الجيش يوماً ما، وتحدث مع الجنود بهدف إشعارهم بالخجل، وفتحوا الطريق. وسيبدو جليّاً في هذا الفصل أن التواجد الأجنبي في بدايته كان يعتمد بالدرجة الأولى على المرافقة على الأرض، من خلال مرافقة السكان في تنقلهم أو المبيت في المنازل الفلسطينية لحمايتها من الهدم، أو حتى في تصدر التظاهرات الفلسطينية. إلا أنه لاحقاً، وكما سيتضح، بدأ هذا التكتيك يتلاشى مع انخفاض عدد المتضامنين الذين يصلون فلسطين مقابل استخدام أكثر لنشر المعلومات والكيد المرتد.

وحول كيفية التقائها بالنشطاء الدوليين، تقول نيتا إن إحدى الطرق التي كانت تتواصل بها مع نشطاء دوليين، ليس من خلال حركة التضامن الدولية، وإنما كان هناك نُزل في القدس يبيت فيه

أجانب ونشطاء دوليون. وبعد زيارتها لحارس، توجهت إلى النزل في اليوم التالي، حيث عادت إلى القرية مصطحبة ناشطاً يابانيّاً وصحفيّاً إيطاليّاً، حيث اندلعت مواجهات بين شباب القرية والجنود، فتوجهت نيتا إلى أحد الجنود من أجل أن يدخلوا القرية، وتحدثت لأحد الجنود وعرفته بنفسها، مشيرة إلى أنهم إسرائيليون وكنديون ويحملون جنسيات أخرى، حتى يوقفوا إطلاق النار. ومنذ ذلك الوقت، أصبحوا يدعون نشطاء إسرائيليين إلى حارس من أجل المساعدة في موسم الزيتون، حيث كانوا يرافقون السكان في عملهم. وهذا كان شيئاً جديداً، فيما يتعلق بحجم المشاركة الإسرائيلية، حيث كانت نيتا تتواصل مع أحزاب وجماعات اليسار الإسرائيلية، وكانوا دائماً يودون المشاركة والمجيء للمناطق الفلسطينية ليسمعوا من الفلسطينيين أنفسهم.

كانت فكرة التضامن قبل الانتفاضة الثانية، في إسرائيل، تتمثل في رفض الخدمة في الجيش، وليس أن تأتي للفلسطينيين وتشاركهم في النضال. ولكن بعد الانتفاضة الثانية، أصبح أحد أنواع التضامن مع الفلسطينيين هو القدوم إليهم ومساندتهم. وتقول نيتا إنّهم كانوا بحاجة إلى متضامنين غير الإسرائيليين الذين كانوا يأتون لمدة يوم ومن ثم يعودون إلى أعمالهم، حيث كانت الحاجة إلى جماعات يمكنها أن تبقى طوال الليل والنهار مع الفلسطينيين. في ذلك الوقت، كان الإعلام مهتمّاً كثيراً بنيتا، لأن نشاطها كان شيئاً جديداً، في وقت كان خلاله الإعلام مسيطَراً عليه كثيراً، لدرجة أنهم لم يستطيعوا أخذ الرواية الفلسطينية، ولكن وبحكم أنها إسرائيلية، فقد كانوا يقتبسون حديثها دائماً. في سنة 2000 أيضاً، كان العالم قد شهد تظاهرات في سياتل، في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد بدأت نهاية عام 1999، وتحولت إلى أكبر حركة مناهضة للعولمة، وهي

حركة العدالة العالمية[102]، وحينها، فكرت نيتا بأنهم بحاجة لأن يأتوا بالمتظاهرين إلى الأراضي الفلسطينية. وبالتنسيق مع غسان أنضوني وجورج رشماوي ولويزا مورجانتيني، تواصلت نيتا معهم لأول مرة من أجل المشاركة في نشاط كبير، وآنذاك، كانت تفكر بتظاهرة كبيرة إلى القدس من أجل الوصول إلى الأقصى يوم جمعة، أو الوصول إلى كنيسة القيامة يوم أحد مثلاً. وبالتنسيق مع مورجانتيني، تواصلت نيتا مع بعض الأشخاص في سياتل، وحددوا يوماً معيناً للحملة في النصف الأول من عام 2000، وكان ذلك قبل تأسيس حركة التضامن الدولية. وبعد تحديد المكان والزمان، أحضرت لويزا حوالي 50 ناشطاً إيطاليّاً، وشاركوا بفعالية عش غراب.

وبعد نجاح هذه الفعالية، عُقد اجتماع كبير في مركز التقارب، حضرته الناشطة الفلسطينية آنذاك هويدا عرّاف، وحضرته أيضاً فرق صنع السلام الفلسطينية، التي كانت نموذجاً لحركة التضامن الدولية، وساهموا في إعطاء تدريبات للنشطاء الدوليين الذين جاءوا لاحقاً. وفي حينه، وضع برنامج، وتمت دعوة الناس للحضور والمشاركة في البرنامج، ومن ضمن الذين جاءوا كان هناك أناس من الحركة العالمية التي بدأت تنشأ في سياتل، وما ميز حراكهم أنه نجح بطريقة ديمقراطية اتبعوها داخل مجموعتهم، أساسها كان الإجماع، ولذلك، عندما عرض البرنامج الذي وضع، رفضوه لأنه وضع بغيابهم، وتم الاتفاق على العمل معاً وبالإجماع[103].

---

[102] حركة العدالة الدولية: الفيدرالية الدولية لحقوق الإنسان هي منظمة دولية غير حكومية معنية بحقوق الإنسان تدخل تحت مظلتها 178 منظمة من 120 دولة. منذ عام 1922، دأبت الفيدرالية الدولية لحقوق الإنسان على الدفاع عن جميع الحقوق المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، كما وردت في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان. المصدر: https://goo.gl/EK5Ydc

[103] جولاني، مقابلة شخصية

ومع أنهم كانوا يضعون خططاً سنوية، لكنهم لم يلتزموا بها، حيث كانوا يتجاوبون مع الواقع وما يجري يوماً بيوم. وبعد تجربة الدخول للمعسكر الإسرائيلي، قامت المجموعة بفعالية ثانية عندما اقتُحمت بيت جالا، حيث وُزع عدد من النشطاء الإسرائيليين والأجانب على بيوت استهدفت ليقيموا مع العائلات الفلسطينية. وفي إحدى المرات، كان الاحتلال يفتح طريقاً عسكريّاً في دير إستيا، فذهبت نيتا وسيدتان وربطن أنفسهن بالجنازير مع شجرتي زيتون هناك؛ وجاءت مجنزرة وقلبت الشجر عليهن ووقفت. وكانت نيتا في حينه تدعو مجموعتها ISM.

وعندما احتاجوا لاسم للمجموعة الأكبر مع أنضوني ورشماوي وعراف وغيرهم، اقترحت نيتا عليهم ISM. وفي حينه، كانت المجموعة متفقة حول دور النشطاء الأجانب وإمكانية حماية الفلسطينيين، فمثلاً، قبل وجود الأجانب، كانوا يتعرضون في التظاهرات للرصاص الحي، ولاحقاً، اضطرت إسرائيل إلى استخدام أسلحة أقل قتلاً خلال تفريق الحشود، بسبب تواجد الإسرائيليين والأجانب، حتى وإن استخدمتها بطريقة قاتلة.

بالنسبة لنيتا ولغسان ولجورج، فإن ISM بدأت مع تظاهرة عش غراب، أما بالنسبة لهويدا وآدم شابيرو، فبدأت الحركة بالنسبة لهما بداية 2001. وتؤكد نيتا أن هناك مؤسسين آخرين وليس هم فقط[104].

[104] المصدر السابق.

مرحلة التأسيس بالنسبة لآدم شابيرو[105] تلت تصاعد النزاع في الأراضي الفلسطينية وفق قوله، وبدأت إسرائيل باستخدام طائرات F16، فقرر كأمريكي أن عليه الاحتجاج ضد استخدام أسلحة أمريكية ضد الفلسطينيين، ولذلك، بدأ الاشتراك في فعاليات حركة التضامن الدولية، وخاصة في الأنشطة الإنسانية والاحتجاجات ضد المشاركة الأمريكية ودعمها للتصعيد الإسرائيلي المتزايد. ترك شابيرو عمله في كانون الأول 2001، ليتفرغ تماماً في الحركة[106]، علماً أنه أول من دخل المقاطعة خلال حصارها عندما كان يرافق إسعافاً جاء لنقل مصاب داخل المقاطعة.

أما بالنسبة لهويدا عرّاف، وهي أحد المؤسسين الرئيسيين للحركة، فإن نشأة الحركة كانت معقدة، وبدأت كفعاليات في وقت كانت هي تعمل في مؤسسة تدعو للسلام، وعندما اندلعت الانتفاضة، لم تعد ترى نفسها في تلك المؤسسة، وأول ما خطر لها كونها فلسطينية أمريكية، أن تلفت نظر الدول الأجنبية كالولايات المتحدة الأمريكية لما يجري في فلسطين، فبدأت بجمع دوليين من أجل التظاهر. وإن كانت هذه التظاهرات صغيرة ومحدودة، ولكن الفكرة الأساسية كانت أن يصل صوتهم. في الفترة نفسها، كانت نيتا جولاني تنشط في محيط سلفيت والقرى المجاورة، والتقتها عراف في أحد الاجتماعات، وبدأتا التخطيط لأنشطة جماعية كانت تسمى كل مرة تحت اسم، ولم تكن تحت اسم حركة التضامن الدولية. وفي سنة 2001، كانت هناك مخاوف من أن

---

[105] آدم شابيرو: وصل شابيرو وهو يهودي يحمل الجنسية الأمريكية، القدس عام 1999 حيث كان يعمل في المؤسسة الأمريكية غير الربحية "بذور السلام"، التي تعمل مع الشباب في مناطق الصراع للترويج للتعايش السلمي

[106] Mark Levine, Getting Through the Wounded, in Peace Under Fire, Josie Sandercock ed al, (London: Verso 2004), p47-48

تقصف إسرائيل المقاطعة، ففكرت المجموعة بأن تدخل المقاطعة كدروع بشرية للفت نظر سفاراتهم. وعندما وصلوا المقاطعة، رفض من في داخل المقاطعة استقبالهم خوفاً على سلامتهم، فنصبوا خياماً في الساحة المجاورة للمقاطعة وأطلقوا اسم "دوليون في فلسطين" كاسم لنشاطهم، ومكثوا عدة أيام هناك حتى زال الخطر، وأحدثوا جلبة في الإعلام في حينه. وفي السنة نفسها، في شهر أيلول، اجتاحت الدبابات الإسرائيلية بيت جالا، التي كانت تحت قصف مستمر، فذهبت المجموعة نفسها إلى بيت جالا، وتوزع الدوليون على المنازل الموجودة في خط المواجهة. وتقول عرّاف إنهم في هذا النشاط، أطلقوا على مجموعتهم اسم "حركة التضامن الدولية" من خلال بيان نشر بشكل واسع، قالوا فيه إن الدوليين منتشرون في كل مكان في بيت جالا، الأمر الذي جعل الكثير من وسائل الإعلام تهتم بالتغطية، إلى جانب اتصالات من السفارات، وحتى أن الجيش الإسرائيلي اتصل بهم يسأل عن مكان الدوليين.

وخلال تلك الفترة تواصلت عرّاف مع صديق لها في الجامعة من أجل إرسال دوليين إلى فلسطين، وكانت فكرتها في حينه إنشاء جيش مدني، وأن يتم استقطاب آلاف الدوليين لمنع إسرائيل من اجتياح المناطق الفلسطينية. وعندما أعلنوا عن الحملة، كانت هويدا تتوقع أن يحضر الآلاف، ومن ثم خفضت من توقعاتها وتوقعت أن يحضر المئات، وفي الحقيقة حضر 50 دوليّاً فقط معظمهم من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، ومع أنهم 50 فقط، إلا أنهم سيعودون إلى بلادهم وسينشرون ويروون تجربتهم هنا، وهذا ما حصل فعلاً، حيث بدأت بتلقي مئات الاتصالات حول الحملة الثانية. فأطلقوا برنامج حملة استمر أسبوعين، عملوا خلاله على فتح الطرق المغلقة

وإزالة الحواجز الترابية أمام الفلسطينيين، وتركزت الفعاليات في بيت لحم وسلفيت تحديداً. وفي نفس الفترة، أغلق الاحتلال بيت الشرق في القدس، فتوجهوا للتظاهر هناك، فيما كان رد فعل الجيش الإسرائيلي مفرطاً، وتفاعل الإعلام كثيراً مع صور الضرب والاعتقالات للدوليين تحديداً، حيث تم اعتقال أحد النشطاء الدنماركيين أمام كاميرات الإعلام، وأثار ضجة واسعة في بلاده.

لم تكن الحركة مؤسسة ولم يكن هناك توزيع أدوار، إنما كان النشطاء مجموعة تجلس معاً ويتشاركون نقاشاً حول كيف يمكن أن يحدثوا أثراً على الواقع دون أنشطة مسلحة. ولا بد من التوقف عند هذا المبدأ، حيث يُعتبر تطابقاً آخر مع نمط الشبكات العابرة للقوميات الحديثة – وردت في الفصل الأول تحديداً– فتلك الشبكات الحديثة يميزها رفضها لأساليب القوة والتسليح مقابل تمسكها بالأساليب اللاعنفية في أي نشاط لها. وحول موقف عرّاف من المقاومة المسلحة، تقول إنها تدرك أن المقاومة المسلحة حق شرعي للفلسطينيين، ولكنها كانت تعتقد أن السلاح ساحة إسرائيل، ويجب تحديها في ساحة ليست ساحتها. وتستذكر ما كان يقوله دائماً عضو اللجنة التنفيذية في منظمة التحرير، مسؤول ملف القدس الراحل فيصل الحسيني: "إذا أردت أن تقاتل مايك تايسون (بطل العالم السابق في الملاكمة) فلا تقاتله في ساحة الملاكمة لأنها ملعبه، إنما أخرجه من ساحة الملاكمة وواجه هناك". وهذه كانت الفكرة، أن نواجه إسرائيل في ساحة ليست معتادة عليها وغير مستعدة لها[107].

[107] عرّاف، مقابلة عبر سكايب

وتستذكر عرّاف أن الحملة الثانية كانت حول عيد الميلاد المجيد في كانون الأول 2002، وخلال التحضيرات تعرفوا على حملة Grassroots International Protection for Palestine (GIPP) وهي الحملة الشعبية لحماية الفلسطينيين، وكانت حملة أوروبية وأقرب للفرنسيين، وتواصلوا مع العضو في المجلس التشريعي الفلسطيني، الأمين العام لحركة المبادرة الفلسطينية مصطفى البرغوثي. لقد أحضروا أعداداً كبيرة من الدوليين، وإن كان هدفهم استطلاعياً أكثر وليس كحركة تضامن دولية، التي كانت تتحدى جسدياً وجود الاحتلال في كل أنشطتها.

فيما لم تنفذ الحملة الثالثة كما كان مقرراً، حيث اجتاحت إسرائيل المدن الفلسطينية في آذار 2002 وحاصرت المقاطعة وكنيسة المهد، التي لجأ لها مناضلون فلسطينيون مُسلّحون، وقد شاركت الحركة بقوة خلال تلك الفترة في التنقل مع سيارات الإسعاف والدخول إلى المقاطعة ونقل طعام ومواد أخرى، وذات الشيء في كنيسة المهد. علماً بأن عرّاف اعتقلت خلال دخول بعض النشطاء إلى كنيسة المهد، ومن ثم رحلت لتعود لاحقاً وتنضم مرة أخرى للنشطاء. ومع اشتداد الحملة العسكرية وتَوسُع المناطق المستهدفة وتوسع الحركة، أضيف للمؤسسين ممثلون في القرى، حيث كانوا ينقلون كل شيء للحركة الأساسية[108].

وهكذا بدأت حركة التضامن الدولية كجزء من مركز "تقارب"، ومركزها في بيت ساحور، واستمرت تعمل كمركز تقارب عدة سنوات حتى 2005، حيث انتقلت إلى رام الله وأصبحت

---

[108] المصدر السابق

منفصلة عن مركز تقارب. وهذا الانفصال حصل لعدة أسباب، منها أن الجيش الإسرائيلي اقتحم مركز تقارب أكثر من مرة، بسبب وجود حركة التضامن الدولية كجزء منه، وركزوا على مصادرة أجهزة الكمبيوتر التي لها علاقة بالحركة واعتقلوا أفراداً من داخل المركز. ويقول قمصية إن هذه الأحداث أثرت على الدعم الذي كان يصل للمركز من عدت جهات، كالكنيسة والمينونايتس Menonite Church، فتضاءل الدعم بسبب الحراك السياسي داخل "تقارب". لكن برأيه هذا ليس السبب الرئيسي، فالسبب الرئيسي هو أن هناك خلافات حول كيفية عمل الحركة داخل المركز، فأي شيء يمشي باتجاه المَأسسة تظهر فيه مشاكل. فمثلاً، مركز تقارب جمعية خيرية، كل حساباته مراقبة، كتوثيق المعاملات المالية، في المقابل حركة التضامن كانت سرية نسبياً آنذاك، وكان من الصعب أن تكشف عن أي شيء يتعلق بعملها. كما أصبحت هناك تساؤلات داخلية، هل نأخذ أموالاً؟ وكيف نصرفها؟ ومن سيصرفها؟ وكيف سنوثقها؟ هل نعطي النشطاء في الميدان بطاقات دفع مسبق لهواتفهم لاستخدامها في الميدان؟ هل نعطي الأجانب؟ أم النشطاء المحليين؟

كانت الهيئة الإدارية لتقارب، ولكي يبقى المركز جمعية خيرية، تريد توثيق كل شيء والكشف عن ذممها المالية، الأمر الذي كان صعباً على الحركة ويحتاج بعض السرية في العمل. ومن هنا ظهرت إشكاليات يمكن تسميتها باللوجستية. لكن بالتفاهم والحوار والإجماع، تقرر فصل الحركة عن مركز تقارب. والسؤال الذي جاء لاحقاً، هل تصبح الحركة مؤسسة خيرية منفصلة أم جمعية دون نظام أو مَأسسة؟ وفي عام 2005، جاء قرار الفصل ليس كمؤسسة خيرية إنما

كجماعة نشيطة وتُجمع لهم الأموال لمن يريد الدعم مباشرة، لدعم مصاريف مقريهم في رام الله والخليل[109].

قمة عمل الحركة كان في 2003، أي في زخم الانتفاضة، ولكن نشاطها كان مهماً جداً طوال فترة الانتفاضة ومع نهاية 2005، وفي تلك الفترة، وحسب تقدير قمصية الشخصي، أحضرت ISM على الأقل 10 آلاف شخص أجنبي، وكان لهم دور مهم في المرافقة والتواجد على الأرض، (حماية البيوت من الهدم، وحماية كنيسة المهد، وحصار الرئيس عرفات الذي كان يقدر وجودهم). وكانت القرى التي تتواجد فيها مقاومة شعبية تعلم بوجود الأجانب في بيت ساحور، فيتصلون بنا طلباً للمساعدة. ففي عام 2003، وعندما بدأت إسرائيل بتجريف المنطقة الحدودية مع رفح لإنشاء المنطقة العازلة وبدأت بتجريف البيوت، تلقينا اتصالات من رفح، وبالفعل تم التنسيق مع النشطاء ووصلوا رفح، وفي هذه الفترة قتلت راشيل كوري. وهنا يجب ذكر "أننا كنا نعطي المتضامنين حق الخيار في الأمكنة التي يفضلون التواجد فيها، فيما كان علينا تزويدهم بإحداثيات واحتياجات المنطقة ومن ثم يتوزعون"[110].

وقبل الانتقال إلى دور الحركة، من المهم الوقوف على تلخيص إرهاصات تأسيس الحركة، حيث تكونت من التقاء مبادرات شخصية أو جماعية مختلفة ولم تكن على علاقة ببعضها، قبل انطلاق الحملة رسمياً. وبالرجوع للإطار النظري، فإن ذلك لا يتعارض مع تعريف الحركات العابرة

---

[109] قمصية، مقابلة شخصية

[110] المصدر السابق.

للحدود الوطنية ولا مع سيماتها، خاصة أن جميع المؤسسين وأوائل النشطاء كان يجمعهم هدف متفق عليه أو هدفان فيما بينهم، وعلى أساسها شكلوا الحركة. وأيضاً، جند كل واحد منهم علاقاته وشبكاته ومن ثم كل وسائل الاتصال المتاحة له من أجل استقطاب أكبر عدد من النشطاء دون تحديد جنسياتهم أو أعراقهم أو خلفياتهم، قبل أن يمارسوا مبادئ الحركة وهي العمل المباشر والسلمي.

ومن الملاحظ –وهذا طبيعي– في مثل هذه الحركات، أن كل مؤسس يعرض تجربته وكأنها هي المثال لانطلاق الحركة بتضافر جهود الآخرين لاحقاً، رغم ذلك، ورغم الخلافات التي طفت لاحقاً بينهم، إلا أنّ المقابلات معهم، عكست وجود احترام وتقدير بينهم تجاه بعضهم لما حققوه فيما يتعلق بالحركة في ذلك الوقت.

3-2 أهمية الحركة ودورها

إن أهمية وجود الحركة يمكن أن تقاس من عدة نواحٍ وآراء مختلفة، فهناك من يرى أن أهمية الحركة نابع من أهمية تأسيسها بالمقام الأول، بالرغم مما قد تنجزه على أرض الواقع، ورأي آخر يحصي الإنجازات التي حققتها الحركة في أوجها، ورأي ثالث يعتبر أن ما بُني بعد الحركة هو المهم، كمن يعتبر أن حركة المقاطعة الدولية هي امتداد لما حققته حركة التضامن الدولية في الخارج. وبالأخذ بكل الآراء السابقة، فإن أهمية الحركة يمكن تلخيصها، بتجسيدها أنماط عمل حركات التضامن الدولية الحديثة، من مرافقة على الأرض، ومواجهة المعلومات، والكيد المرتد لسياسات المعتدي، بما يلي؛

- من المهم ذكر استغلال حرب العراق من قبل إسرائيل، عندما شعرت بأن حرب العراق ستبدأ وبسبب انشغال العالم والإعلام بها، نَكّلت إسرائيل بالشعب الفلسطيني بشكل كبير جداً في تلك الفترة، ومع أنها كانت حذرة مع وجود الأجانب والإسرائيليين، الذين لعبوا دوراً مهماً في بناء شبكة معلومات مضادة للإسرائيليين، ولكن في ذلك الوقت لم تعر إسرائيل اهتماماً لأحد. وبرأي قمصية، أنه وفي الشهرين الأخيرين ما قبل الحرب على العراق، إسرائيل "أجرمت بالشعب الفلسطيني وحتى بالأجانب بمن فيهم راشيل كوري، وهنا كل شيء له مردود؛ إسرائيل تضررت كثيراً إعلامياً بسبب كوري وقتلها المتعمد واستهداف المتضامنين بشكل عام". ويرفض قمصية ربط الانتفاضة بالعنف والعمليات

الاستشهادية، وبرأيه فإنّ أغلب المقاومة التي جرت في الانتفاضة كانت انتفاضة شعبية، تضمنت وجود الأجانب بشكل كبير جداً، وأربكت إسرائيل وسببت لها مشاكل عالمية[111].

أما ما تورده الحركة على صفحتها، فيما يتعلق بأهمية وجودها، فقد لخصته في النقاط التالية:

- رسالة إلى وسائل الإعلام العالمية الرئيسية، حيث إن النضال الفلسطيني لا يغطى إعلامياً بدقة من قبل وسائل الإعلام الرئيسية التي تسيطر عليها شركات. فيتم تصوير الإسرائيليين والفلسطينيين كطرفين متساويين لا يستطيعان العيش معاً ويتنازعان على الأرض. وفي الواقع، فإن نظام الفصل العنصري الإسرائيلي يتحدى حق الفلسطينيين في الوجود، ويقابل بنضال فلسطيني من أجل الحرية وتقرير المصير وحقوق الإنسان. وتقع على عاتق المجتمع الدولي المطالبة بتغطية إعلامية دقيقة.
- الشاهد الشخصي ونقل المعلومات، فالوجود الدولي وحده يمكن أن يكون إغاثة للمضايقات اليومية والعنف، خاصة عند توثيقه بالكاميرات. فالمواطنون الدوليون هم شهود عيان ويعودون إلى وطنهم ليتحدثوا مع مجتمعاتهم المحلية حول ما يحصل هنا. ويمكن لكل متطوع بعد أن شاهد الواقع عندما يعود لوطنه، أن يتحدث عن حقيقة الواقع، وأن يغير

[111] المصدر السابق.

المفاهيم والأفكار الخاطئة حول "الصراع"، وتغيير آراء الناس هو أول فكرة نحو العدالة.

- كسر العزلة ومنح الأمل، حيث يعزل الفصل العنصري الفلسطينيين ويقطعهم عن بقية العالم وعن بعضهم. ووجود المواطنين الدوليين يبعث برسالة إلى المجتمع الفلسطيني: "نحن نرى، نحن نسمع، ونحن معكم". والاعتقاد بأن العمل اللاعنفي المباشر يمكن أن يواجه الفصل العنصري، هو حجر الزاوية في فلسفتنا ورسالتنا[112].

كما أن للحركة أن تستمد أهميتها من فعاليتها كما طرحتها الباحثة Veronique Dudouet كجزءٍ من أطروحة الدكتوراة، ويمكن تلخيص ذلك بنقطتين أساسيتين: الأولى حماية الفلسطينيين في مناطق الحرب، خاصة النشطاء غير العنيفين، من خلال المرافقة والعمل كدروع بشرية. وحتى عندما لا ينجح الدوليون في منع العنف، يمكنهم على الأقل أن يعملوا كشهود عيان على الاحتلال، من خلال نشر ما يرونه. ومع أن الحركة متخصصة في الفعل المباشر، إلا أنها على استعداد للعمل كبعثات إنسانية في الأزمات؛ حيث عمل نشطاء الحركة، خاصة خلال عملية الدرع الواقي عندما اجتاح الاحتلال معظم مدن الضفة، في الأعمال الإنسانية والإنقاذ. حيث كانوا أول من دخل مخيم جنين المهدم، وأول من قاد مسيرات لفك الحصار عن المقاطعة وكنيسة

---

[112] مصدر سابق، https://goo.gl/gcuYgM

المهد، وعادوا مع سكان اليامون قضاء جنين عندما ترك بعضهم بيوتهم تحت تهديد اعتداءات المستوطنين. كما أوصلوا الطعام والدواء للبيوت التي احتلها الجيش الإسرائيلي، وأقاموا في بيوت كانت مهددة بالهدم. ويعتبر بعض النشطاء أن حملة القمع التي تعرضت لها الحركة من قبل الحكومة الإسرائيلية، ما هي إلا شهادة على فعاليتها.

أما النقطة الثانية، فهي كسب الاهتمام العالمي وتعزيز التضامن؛ حيث تدعي الحركة أن التغطية الإعلامية نجاح للحركة، فقسم الإعلام في الحركة يجذب الصحفيين لتغطية التظاهرات والفعاليات، ويرسل تقارير لجمهور عالمي. وتطوير دعم دولي للفلسطينيين من خلال الحشد وحملات التوعية الأكاديمية والعامة في الولايات المتحدة وأوروبا مهم جداً. تقدر الحركة أن نصف متطوعيها، يأتون من الولايات المتحدة الأمريكية، ربعهم من أصول يهودية، وبالتالي يمكنهم أن يوفروا صوتاً بديلاً للوبي المؤيد لإسرائيل. وبعد سنوات من عمل الحركة، وتراجع أهمية التواجد والمرافقة داخل فلسطين، انخرط أعضاء الحركة في بلادهم بقوة في النقاش المؤيد لفرض العقوبات ضد السياسات الاحتلالية، من خلال المقاطعة الاقتصادية والرياضية والثقافية[113]. بمعنى أنّه من بين عوامل مختلفة، انتقل تركيز الحركة من "التواجد والمرافقة" إلى "مواجهة المعلومات"، والضغط على الحكومات، على الرغم من أن هناك تراجعاً زخماً في أداء الحركة عموماً، كما سيرد لاحقاً.

[113] Veronique Dudouet*, Cross Boarder Nonviolent Advocacy during the Second Palestinian Intifada: The International Solidarity Movement*, in, *People Power; unarmed resistance and global solidarity*, edited by Howard Clark, (London: Pluto Press 2009), p125-135

3-3 مبادئ الحركة

مع أن الحركة بلا رأس ولا هيكل تنظيمي وأُسست بشكل عفوي دون مرجعيات سياسية أو فصائلية، إلا أنها مع مرور السنين على نشأتها حددت وبلورت مبادئ أساسية ألزمت المتطوعين بالعمل ضمنها، وهي كما جاءت على الموقع الرسمي للحركة:

- قيادة فلسطينية: دور حركة التضامن الدولية هو دعم النضال الشعبي الفلسطيني. وعندما نُدعى، ننضم إلى فعاليات بدأها فلسطينيون أو مجموعات ضليعة في النشاط الشعبي. ومع أن لدينا أعضاء فلسطينيين، إلا أننا حركة غير هرمية وليس لدينا قادة فرديون. فيما نتوقع من كل نشطاء الحركة أن يتصرفوا بطريقة تحترم الثقافة الفلسطينية.
- اللاعنف: تؤمن الحركة أن الأعمال اللاعنفية هي أداة قوية في محاربة الاضطهاد والاحتلال والفصل العنصري، وملتزمة بمبادئ المقاومة اللاعنفية. ويمتنع نشطاء الحركة عن كل أشكال العنف اللفظي والجسدي، فعواقب الكلمات والأفعال العنيفة لن تؤثر فقط على أعضاء الحركة، إنما ستؤثر على المجتمعات الفلسطينية. ولا يعني نهجنا اللاعنفي أن لدينا الحق في الإملاء على الفلسطينيين كيفية مقاومة الاحتلال العسكري والفصل العنصري.

- الإجماع: تستخدم الحركة الإجماع في كل قراراتها. وعلى الرغم من أن عملية التوافق تأخذ جهداً ووقتاً، إلا أن طريقة العمل هذه تؤدي إلى المشاركة الكاملة، ولا يجبر أحد على أن يكون جزءاً من عمل يختلف معه.
- مناهضة الاضطهاد: تعارض الحركة أي شكل من أشكال التعصب وتدعم المساواة الكاملة بين الجميع. وداخل الحركة، لا نقبل أي شكل من أشكال الاضطهاد، بما في ذلك، التمييز على أساس العرق، أو المظهر الجسدي، أو الأصل، أو الجنس، أو الهوية الجنسية، أو القدرة البدنية، أو العمر، أو الدين، وذلك لضمان مساحات كافية للمتطوعين، ولضمان أن أفعالنا وأفعال من هم في الحركة لا تخدم لدعم أو إدامة سلوكيات أو ممارسات أو هياكل عنصرية أو متعصبة[114].

كما تتوقع الحركة أن يلتزم المتطوعون بهذه المعتقدات، وأن يتخذوا موقفاً ضد الصهيونية، وكراهية الإسلام "الإسلاموفوبيا"، وضد معاداة السامية والتعصب بجميع أشكاله الأخرى. وتطالب إسرائيل بالاعتراف واحترام القانون الدولي، وبأن تضع حداً للفصل العنصري واحتلالها.

[114] موقع International Solidarity Movement

كما أشارت الحركة إلى بيان فلسطيني صدر سنة 2012[115]، لتعارض استخدام مصطلح معاداة السامية كأداة لتقييد الانتقادات الموجهة لإسرائيل أو معارضة الصهيونية، حيث إن كون المرء يهودياً لا يعني أنه مع دعم أيديولوجيا الصهيونية، أو السياسات الاستعمارية والفصل العنصري.

ومع أن الحركة تقر بحق الفلسطينيين في المقاومة بشكل عام، وهو ما يمكن اعتباره اعترافاً ضمنياً بحقهم في المقاومة المسلحة، إلا أن عليها، وضمن إطار عملها، وعلى من ينضم إليها، الالتزام بما سمته المقاومة الاستراتيجية والمنضبطة وغير المسلحة لهزيمة الجيش الإسرائيلي والفصل العنصري. وتؤكد الحركة أن الدوليين لم يأتوا إلى فلسطين لتعليم المقاومة غير العنيفة، لأن الفلسطينيين يقاومون كل يوم بطرق لاعنفية، إنما جاءوا لدعم المقاومة الفلسطينية للفصل العنصري ومطالبهم بالحرية من خلال الأنشطة التالية:

- العمل المباشر: أي المشاركة في تظاهرات غير عنيفة، وتعطيل أنشطة قوات الاحتلال بطرق خلّاقة، ومرافقة المزارعين إلى حقولهم أو العائلات المهددة بيوتها بالإخلاء أو الهدم أو مضايقات المستوطنين.

[115] وقع أكثر من 120 ناشطاً وناشطة فلسطينيين على بيان يعارض جميع أشكال العنصرية والتعصب، بما في ذلك على سبيل المثال وليس الحصر، معاداة السامية وكراهية الإسلام والصهيونية، وغيرها من أشكال التعصب الموجه ضد أي شخص. كما رفضوا استخدام مصطلح معاداة السامية كأداة لخنق الانتقادات ضد إسرائيل أو معارضة الصهيونية، حيث من الخطأ تعميم أن من هو يهودي يدعم الصهيونية أو السياسات الاستعمارية والفصل العنصري. https://electronicintifada.net/blogs/ali-abunimah/struggle-palestinian-rights-incompatible-any-form-racism-or-bigotry-statement

- التوثيق: أي توثيق وإبلاغ الإعلام المحلي والدولي عن الحياة اليومية في ظل نظام الفصل العنصري، وعدد الانتهاكات التي لا تحصى لحقوق الإنسان والقانون الدولي من قبل الجيش الإسرائيلي. والحاجة للتوثيق ليس فقط لإظهار الإجراءات غير القانونية وغير العادلة المستمرة، إنما لتوفير دلائل حقيقية لمساءلة الشرطة والمحاكم[116].

هذه المبادئ كما يلاحظ لم تأت من الفراغ، فهي أولاً ترجمة دقيقة لسمات حركات التضامن العالمية، بتركيزها على اللاعنف، والمرافقة، ومواجهة المعلومات، وتحقيق ما يسمى "الكيد المرتد" كما جاء في الفصل الأول. ومن جهة ثانية، هي انعكاس لتفاعل على الأرض، ونتيجة نقاشات وحوارات بين النشطاء الفلسطينيين، والدوليين. وهنا يلاحظ بوضوح أن فكرة التضامن كما تتجسد في حالات منها الحالة الفلسطينية، لا تعني أنّ هناك حركتين، (محلية وطنية وأخرى دولية تتضامن مع المحلية)، بل إن هناك نوعاً من وحدة العمل، وجدلاً وتوتراً بشأن مدى هذه الوحدة، وما تخوله هذه الوحدة من دور قيادي لأحد الشقين إزاء الآخر.

[116] موقع International Solidarity Movement

3-4 موقف الحركة من قضايا رئيسية وإشكالية

خصصت الحركة صفحة مكثفة على موقعها الإلكتروني توضح فيه مواقفها من عدة قضايا إشكالية وأساسية، ووضعتها تحت الأسئلة الأكثر شيوعاً، ويمكن الاستنتاج أن هذه الإجابات نوع من الدفاع عن الحركة، وحسم لبعض الجدل داخلها، ومع خصومها.

بدأت الحركة بالإجابة عن موقفها من "الهجمات الانتحارية"، حيث تعتبر الحركة الهجمات على المدنيين الأبرياء سواء أكانوا إسرائيليين أم فلسطينيين محظورة في معظم تفاهمات القانون الدولي، وتسعى الحركة لتنفيذ القانون الدولي على كلا الطرفين. وتعارض الحركة "التفجيرات الانتحارية"، خصوصاً تلك التي نفذت ضد أهداف مدنية، وفي نفس الوقت لا تعتقد أن التفجيرات أكثر وحشية من إسقاط قنبلة من مقاتلة عسكرية على مبنى سكني، أو إطلاق قذيفة دبابة على أحد الشوارع المدنية المزدحمة، أو وضع ديناميت في منزل أسرة. فكل هذه الأعمال "وحشية ومثيرة للاشمئزاز".

ولكن تشدد الحركة، أنه وإلى جانب وقف الهجمات الإسرائيلية والفلسطينية على المدنيين الأبرياء، فإن الامتثال إلى القانون الدولي يتطلب إنهاء قائمة طويلة من الانتهاكات الإسرائيلية، بدءاً من الاحتلال العسكري للقدس والضفة والقطاع، وبناء المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة، ومصادرة وتدمير الأراضي والمنازل الفلسطينية، والقيود المفروضة على حرية حركة الفلسطينيين داخل الأراضي المحتلة، بما فيها نقاط التفتيش وإغلاق الطرق وحظر التجول، وحرمان

الفلسطينيين من حقوقهم في الصحة والتعليم والعمل، والاعتقال التعسفي ومختلف أشكال العقاب الجماعي.

وتضيف الحركة أنّه من أجل وقف الهجمات على المدنيين الإسرائيليين، يجب النظر إلى مصدر العنف وعنوانه، بدلاً من الجدل حول أي عنف أسوأ من الآخر. "نحن بحاجة إلى معالجة كل أعمال العنف وليس واحداً فقط. قوات الاحتلال والسياسات المهينة والمذلة، تجرح وتقتل الروح وتجعل حياة الفلسطينيين شبه مستحيلة، وكل هذا عندما لا يكون الجيش الإسرائيلي بنشاط هجومي".

وتكمل الحركة أنّ تحويل بعض الفلسطينيين أنفسهم لأسلحة، "ليست بالشيء الأصيل عند الفلسطينيين أو المسلمين، إنما هو سلاح مأساوي لأولئك الذين لم يجدوا شيئاً آخر للقتال فيه". وتوضّح الحركة: "وهذا ليس تبريراً للعمل، والأهم من ذلك أننا خلصنا من التجربة، أنه لطالما استمر الاحتلال واستمر حرمان الفلسطينيين من الحرية وحقوق الإنسان وتقرير المصير، سيكون هناك من يستخدمون العنف ضد عنف الاحتلال البنيوي والممنهج".

وترد الحركة على من اتهمها بإيواء "إرهابيين"، بأن من رغب بإسكات أصوات الحركة، اتهمها "بإيواء الإرهابيين وحمايتهم"، فيما عملت الحكومة الإسرائيلية جاهدة لجعل كل فلسطيني من رجل وامرأة وطفل أن يكون "إرهابياً" مشتبهاً به. وهذا كان مبرر الحكومة الإسرائيلية للقوة الوحشية التي تستخدمها ضد السكان العزل. وهذا هو أساس منطق استخدام العقاب الجماعي

لحشر الفلسطينيين في مدنهم وقراهم، وتجريد الناس من حقوقهم الإنسانية. وتدعم الحركة المجتمعات الفلسطينية التي تحتج على العقوبات الجماعية مثل نقاط التفتيش وإغلاق الشوارع والطرق الالتفافية، وحظر التجول وهدم البيوت. ولهذا السبب، يتهم المتطوعون في الحركة زوراً "بحماية الإرهابيين".

وتذكر الحركة حادثين محددين غالباً ما تمت الإشارة إليهما في محاولة للنيل من حركة التضامن الدولية:

- اعتقال شادي سوقية، يوم 27 آذار 2003 عندما لجأ لمكتب الحركة في جنين وكان في حالة هلع ويرتعش، فقدم له أعضاء الحركة الذين كانوا متواجدين هناك ملابس نظيفة ومشروباً ساخناً دون أي حوار جرى بينهم، حيث لا يتحدث المتطوعون العربية، فيما لا يتكلم سوقية الإنجليزية. بعدها بقليل، اقتحم جنود إسرائيليون المبنى وتم اعتقال سوقية، فيما تعمد الجنود تخريب ممتلكات المتطوعين الشخصية بشكل ممنهج. وعلى الرغم من الادعاءات –لاحقاً– بأنهم كانوا في حالة خطر، إلا أن الجنود أخذوا وقتاً لجمع ملابس المتطوعين على الأرض وكسر البيض النيء فوقها. وفي تصريح لوكالة الأسوشييتد برس، زعم الجيش الإسرائيلي أن سوقية كان عضواً بارزاً في حركة الجهاد الإسلامي، وأنه وجد مسدساً في مكتب الحركة،

وأن اثنين من المتطوعين كانا يخبئان سوقية. واعتبرت الحركة أن هذه الادعاءات سخيفة، حيث إن الجيش خرج من المبنى وأخلى المنطقة دون أن يستجوب أو يعتقل أحداً من المتضامنين الذين كانوا جميعهم موجودين في المكتب أو في المنطقة[117].

وعندما سُئل الجيش عن إثبات لتلك المزاعم، تغيرت رواية الجيش بأن المعلومات التي نشرت بالأصل كانت خاطئة حسب ما قال المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي، وأنه من غير الواضح إذا ما تم العثور على مسدس. وبناء على ذلك، نشرت الأسوشييتد برس نصاً تراجعت فيه عن الرواية الأولى، وقالت إن الجيش تراجع عن تفاصيل اعتقال متشدد في حركة التضامن الدولية[118].

- أما الحادثة الثانية، فكانت زيارة لمكتب الحركة في رفح من قبل مواطنين بريطانيين، نفذا لاحقاً هجوماً في تل أبيب. ووقعت هذه الحادثة يوم الجمعة 25 أبريل 2003، عندما عقدت الحركة تأبيناً عاماً لراشيل كوري، ووصل ستة مواطنين بريطانيين لمكتب الحركة، بينهم شابان بريطانيان مسلمان، عاصف حنيف وعمر خان شريف، فيما كان يأمل الأربعة الآخرون، تنظيم مخيم صيفي في غزة بالتعاون مع فلسطينيين من رفح وثلاثة إيطاليين

[117] المصدر السابق.
[118] المصدر السابق.

وآخرين. قدم لهم المتطوعون الشاي وتحدثوا قليلاً قبل أن يحضروا التأبين، وبعدها اختفى حنيف وشريف ولم يرهما أحد ولم يتواصلا مع أحد من المتطوعين.

لاحقاً، نفذ الاثنان عملية تفجيرية، علماً أنهما لم يتواصلا مع الحركة من قبل ولم يسجلا للانضمام للحركة أو حضرا التدريب. في شهر نوفمبر 2008، نشرت صحيفة لندنية Jewish Chronicle رسالة خاطئة تتهم الناشط في الحركة رافائيل كوهين بحماية الانتحاريين، فرفع كوهين دعوى قضائية على الصحيفة وربحها في إبريل 2009، وأخذ تعويضاً واعتذاراً رسمياً. فقد اضطرت الصحيفة اللندنية لدفع 30 ألف جنيه إسترليني، وتقديم اعتذار رسمي بعدما اتهمت كوهين بحماية فلسطينيين لمدة خمسة أيام قبل أن يفجرا أنفسهما في ملهى ليلي في نيسان 2013، داخل "تل أبيب". وقد اعترفت الصحيفة أن هذه الاتهامات كانت خاطئة وكان يجب عدم نشرها[119].

وتكرر الحركة موقفها من الإرهابيين والانتحاريين في أسئلة أخرى، حيث تسهب أكثر في توضيح موقفها من الكفاح المسلح، حيث تقول الحركة إنها لا تدعم أو تتغاضى عن أي عمل إرهابي، وهو غير شرعي في الكفاح المسلح. كما أن الحركة لا تدعم وليس لها علاقة بالمقاومة المسلحة أو العنفية للاحتلال، كما أنها لا تنخرط ولا تساعد في أي نوع من المقاومة المسلحة

[119] "Jewish Chronical pays £30,000 libel damages to peace activist", by Oliver Luft and Agencies, The Guardian, 3/4/2009, retrieved on 2/3/2018 in http://bit.ly/2oKKDOo

بغض النظر عن شكلها. وذلك استناداً على بيان مهمة الحركة الذي يقول: "كما هو منصوص عليه في القانون الدولي وقرارات الأمم المتحدة، ندرك حق الفلسطينيين في مقاومة العنف والاحتلال عبر الكفاح المسلح المشروع. ومع ذلك، نؤمن بأن اللاعنف يمكن أن يكون سلاحاً قوياً في محاربة الاضطهاد، ونلتزم بمبادئ المقاومة اللاعنفية".

وتضيف أن هذا الحق في مقاومة الاحتلال، لا ينطبق فقط على الشعب الفلسطيني، إنما على جميع الشعوب التي تواجه الاحتلال العسكري، حيث تعتبر الحركة أن جميع الناس على قدم المساواة ولهم حقوق متساوية في ظل القانون الدولي. وتعتقد الحركة أن العمل اللاعنفي هو سلاح قوي في محاربة الظلم وتلتزم بمبادئ المقاومة اللاعنفية.

وحول موقفها مما تفعله الحركة لحماية المدنيين الإسرائيليين على غرار حمايتها للمدنيين الفلسطينيين، تقول الحركة إنه من أجل وقف العنف، يجب معالجة جذور العنف وهي جيش الاحتلال الإسرائيلي، ومن خلال توحيد جهودنا ضد السياسات التي تولد عنفاً، يمكننا البناء والحفاظ على بيئة مستتبة وآمنة تحمي الجميع بشكل متساوٍ. وتعمل الحركة في الأراضي الفلسطينية المحتلة، لأن الاحتلال هو السبب الأساسي للعنف المستمر، ومهمتنا ليست توفير حماية ضد الاعتداء، إنما جلب الدعم الدولي للمجتمعات الفلسطينية والمنظمات الشعبية المشاركة في المقاومة اللاعنفية، حيث نؤمن أن إنهاء الاحتلال وتحقيق العدالة للفلسطينيين هو ما سيأتي

بالسلام للإسرائيليين. وبالمثل، فإن حركة فلسطينية لاعنفية ناجحة وقوية لإنهاء الاحتلال، ستوفر للفلسطينيين خياراً قابلاً للتطبيق من أجل تحقيق العدالة دون عنف أو هجمات على المدنيين.

وتضيف الحركة، هناك العديد من المنظمات النشطة في إسرائيل لحماية ومساعدة المدنيين الإسرائيليين، والعديد من هذه المنظمات يتم تمويلها بشكل جيد من قبل مواطنين أجانب ولديها الكثير من الموارد. في المقابل، يوجد عدد قليل من هذه المنظمات تعمل في الأراضي الفلسطينية المحتلة، ولهذه الأسباب تلتزم الحركة في دعم المقاومة الفلسطينية اللاعنفية في الأراضي الفلسطينية المحتلة. وخلال التدريب وكشرط للانضمام إلى الحركة في فلسطين، يُطلب من جميع النشطاء الالتزام في دعم المقاومة اللاعنفية فقط. كما يتم الطلب من النشطاء عدم لمس أي سلاح أو أي شيء آخر يشبه السلاح.

كما توضح الحركة أنها لا تنتمي لأي طرف سياسي، وهي مفتوحة لكل الأفراد والجماعات التي تختار العمل المباشر اللاعنفي، وأي أشكال أخرى من المقاومة غير المسلحة كوسيلة لمواجهة الاحتلال الإسرائيلي. ولذلك، تعمل الحركة مع منظمات مجتمع شعبية، البلدات والمجالس القروية، والمنظمات غير الحكومية والأحزاب السياسية الفلسطينية. لكنها لا تمول من قبل أي طرف سياسي فلسطيني أو من قبل السلطة الفلسطينية.

أما موقفها من معاداة السامية، فتشير الحركة إلى تقديرات ليست نهائية إلى أن حوالي 20% من المتطوعين في الحركة هم من اليهود، كما أن العديد من المنظمات اليهودية داخل إسرائيل

وخارجها تدعم أهداف وجود الحركة، وأن اثنين من مؤسسي الحركة، نيتا جولاني وهي إسرائيلية، وآدم شابيرو من الولايات المتحدة، هما يهوديان. الحركة لا تعارض أي شخص أو جماعة أو كيان سياسي على أساس العرق أو الدين أو الأصل[120].

لم توضح الحركة موقفها من اللاجئين الفلسطينيين في الشتات ولا الفلسطينيين في أراضي الداخل المحتل، وفي الوقت الذي تصف به إسرائيل بدولة الاحتلال، فإنها لم توضح إذا ما كانت تعتبرها شكلا من أشكال الاستعمار. ويمكن الاستنتاج من ذلك أن الحركة ركزت على أهدافها الرئيسية فيما يتعلق بمساعدة الفلسطينيين في نضالهم ضد الاحتلال، ولكنها في نفس الوقت تفصل مواقفها المبدئية تجاه القضية. وقد يعود ذلك إلى شكل الحركة "الهلامي"، حيث كانت تجمع لمتضامنين أفراد أصبحوا حركة تحت ظروف معينة استوجبت وجود إطار تنظيمي معين، لم يفصل داخله مبادئ أساسية. وبالتالي لم تتبنى برنامجاً سياسياً واضحاً، وهو ما قد يعني من وجهة نظر محددة تسليماً ضمنياً بوجود إسرائيل، وتقبل حل الدولتين، أو أي حل آخر قد يقبله الفلسطينيون والإسرائيليون.

النصف الثاني من الفصل الثالث سيشرح آليات الانضمام للحركة والإجراءات التي تتعين على كل ناشط يقرر الانخراط في الحركة، ومصادر دعم الحركة، مع التركيز على تركيبة الحركة وآلية صنع القرار داخلها، والتي كان لبعضها أثر إيجابي على مسيرة الحركة ولبعضها الآخر أثر

[120] موقع International Solidarity Movement

سلبي. كما أن الفصل سيتطرق إلى العنصر الفلسطيني داخل الحركة، فمع أنها حركة دولية، إلا أن نشأتها كانت على أساس أن تكون القيادة فلسطينية والقرار فلسطينياً.

3-5 آلية الانضمام وما تليها من إجراءات

توفر حركة التضامن الدولية خيارين للمشاركة ودعم الفلسطينيين، إما من خلال السفر إلى فلسطين والانضمام إلى مجموعتها هناك (أي المرافقة والتواجد)، أو من خلال العمل في بلادهم للتوعية حول واقع الحال في فلسطين (مواجهة المعلومات والكيد المرتد). وفي صفحة الانضمام إلى الحركة، تظهر رسالة واضحة بأنه تم تحديث هذه الصفحة في تاريخ 17 يناير 2017، وأن الحركة وبعد فترة إعادة تقييم أصبحت مستعدة لاستقبال وتدريب متطوعين جدد من خلال اتباع الخطوات المذكورة. أولاً، يطلب من المتطوع الاتصال بإحدى (مجموعات الدعم) للحركة القريبة منه، علما بأن على المتطوع الالتزام بالتواجد في فلسطين لمدة لا تقل عن أسبوعين بعد الانتهاء من التدريب، لضمان فعالية عمل الحركة. ويهدف إلى التواصل مع جماعات الدعم لتبادل المعلومات وأخذ فكرة عمّا ستشمله التجربة في فلسطين، وهي فعلياً خطوة لتحديد قدرة المتطوع على التكيف في مثل هذا العمل أم لا. وتشترط الحركة للعمل في الميدان الانتهاء من التدريب الممتد ليومين في فلسطين. كما تنصح الحركة أن يتواصل المعنيون مع مجموعات الدعم من بريد إلكتروني لا يحتوي على أسمائهم الحقيقية من أجل سلامة الجميع.

كما أن الحركة لا تضمن قبول الجميع في التقييم الأول، ومن قُبل في التقييم الأول سيسافر إلى فلسطين ويلتحق بالتدريب، الذي يتناول مواضيع كثيرة، أهمها استراتيجيات اللاعنف وفلسفتها، ومبادئ الحركة وتركيبتها، واتخاذ القرارات الجماعية والاعتبارات الثقافية للعيش والعمل في فلسطين، وتدريب حول الإعلام والقانون والاعتداءات والتحرش الجنسي، وسبل المحافظة على النفس ورعاية الآخرين.

ولا تجبر الحركة أحداً على عمل أي شيء لا يريد فعله، وتحاول الحركة إيجاد فرصة للمتدرب تناسب احتياجاته وقدراته، إن لم يشعر بأريحية خلال التدريب. هذا التدريب يكلف المتطوع 100 شيقل تشمل مكاناً للنوم حتى ثلاث ليالٍ والتدريب، وما إن ينتهي التدريب، حتى يمكن للمتطوع البقاء بإحدى شقق المجموعات المشتركة، حيث يطلب منه خلال الشهر الأول دفع 30 شيقلاً لكل ليلة، وبعدها يمكنه المكوث في البيت المشترك مجاناً[121].

3-6 التكاليف والإقامة

توضح الحركة بشكل صريح أن على المتطوعين تغطية تكاليف تذاكر سفرهم وتكاليف المعيشة، والتي هي بالأساس الإقامة والطعام والسفر. وتبلغ تكلفة الإقامة في شقق الحركة 30 شيقلاً لليلة في الشهر الأول، وبعد مرور الشهر الأول تصبح الإقامة مجانية. كما يشترى الطعام بشكل جماعي بتكلفة 10 شواقل يومياً للفرد، إضافة إلى نفقات السفر إلى قرى وبلدات

---

[121] المصدر السابق

مختلفة ينشطون فيها قد تصل لحوالي 30 شيقلاً في اليوم، حسب الفريق الذي سيعملون معه. ومن الشهر الثاني يصبح السكن مجانياً، وتقل تكاليف المعيشة.

علاوة على ذلك، يتعين على المتطوع احتساب تكاليف الاتصالات، حيث يحتاج كل متطوع إلى هاتف يعمل بشريحة فلسطينية لضمان إمكانية الوصول لهم في جميع الأوقات، حيث من الممكن الحصول على هاتف بثمن قليل إن لم تعمل هواتفهم التي جاءوا بها من بلدانهم. وتنصح الحركة أن يحضر المتطوعون كاميرا جيدة، وجهاز كمبيوتر محمولاً، لأنّ الإعلام يشكل الجزء الأكبر من عملهم. ولا شك أن تحول الإعلام ليكون العمل الأساسي جاء بعد انتهاء انتفاضة الأقصى وتراجع أهمية التواجد والمرافقة كأداة عمل. وكان هذا واضحاً في أحد الاجتماعات التي جرت في رام الله في شهر تشرين الثاني 2017، حيث كان عدد المتضامنين الأجانب قليلاً نوعاً ما، وكان التركيز أكثر على الإعلام وكتابة المواد الإخبارية والتقاط الصور التي تعكس طبيعة الأوضاع على الأرض.

وتورد الحركة سريعاً، نصائح تتعلق باللباس اللائق والمظهر المناسب وأهمية النظافة الشخصية، وما قد يكون لافتاً كالوشم والثقوب في الجسم. وتوضح أيضاً النظام التشاركي داخل سكنات الحركة، حيث مسؤوليات الطبخ والتنظيف تتقاسم من قبل فريق[122]. وكثير من هذه القضايا يمكن ملاحظة أنها نوع من مراكمة الخبرات، والتصدي للمشكلات، التي تبرز أثناء العمل اليومي

[122] المصدر السابق

للحركة، وبالتالي فإنّ تجربة الحالة الفلسطينية، يمكن أن تشكل جزءاً من روافد التنظير للحركات العالمية المشابهة.

3-7 دعم الحركة ومصادر تمويلها

تقول الحركة إن ذراع الحركة في السويد مسؤول عن جني التبرعات، التي تستخدم لتغطية النفقات التشغيلية للحركة في فلسطين، كالاتصالات والنقل والنفقات القانونية والمصاريف المتعلقة بصيانة الشقق، ورواتب صغيرة لوظائف التنسيق الرئيسية. علما بأن للحركة 17 ذراعاً حول العالم وهي:

حركة التضامن الدولية في كل من بلجيكا، وجمهورية التشيك، والدنمارك، وإسبانيا، وفرنسا، وألمانيا، واليونان، وإيطاليا، ولندن، وهولندا، وكاليفورنيا الشمالية، واسكتلندا، والسويد، وواشنطن، وفرق ميتشغان للسلام، وفلسطين السلام والتضامن في كوريا الجنوبية، وتضامن في كندا.

ووفقاً للحركة، فإن أكثر التبرعات تأتي من الولايات المتحدة وأوروبا[123].

3-8 تركيبة الحركة وآلية صنع القرار داخلها

يبدو واضحاً من المقابلات التي أجريت لأغراض هذه الدراسة، والقراءات المتوفرة، أن تركيبة الحركة تغيرت ما بين السنتين أو الثلاث الأولى من نشأتها، وما بين الفترة التي تلت ذلك

[123] المصدر السابق

وحتى يومنا هذا. فالفترة الأولى اتسمت بتنوع المتضامنين من عدة نواحٍ كالفئة العمرية والخلفيات الأكاديمية والثقافية وأسباب انضمامهم للحركة، فيما أصبحت هناك سمة واحدة نوعاً ما للمتضامنين الذين أتوا بعد المرحلة الأولى وحتى الآن. تقول الصحفية شارمين سايتز:

> إن الفئات الدولية التي كانت تنشط في فلسطين –ليس بالضرورة مع حركة التضامن الدولية– تألفت من فلسطينيين يحملون جوازات سفر أجنبية، ومن عاملين في وكالات المساعدات الدولية جاءوا إلى فلسطين خلال سنوات أوسلو، ومعلمين وآخرين تزوجوا من فلسطينيين[124].

أما فيما يتعلق بتركيبة حركة التضامن الدولية، فيقول منسق اللجنة الشعبية لمقاومة الجدار، عبد الله أبو رحمة، إنهم جاءوا من كل البلدان: الولايات المتحدة، والاتحاد الأوروبي، وكندا، وروسيا، وأمريكا اللاتينية وشرق آسيا، وإن أغلبهم من الطبقات المسحوقة، بمن في ذلك متعلمون ومثقفون وأساتذة جامعات وطلبة وأطباء ومحامون وعاطلون عن العمل، والقليل ممن كانوا من الطبقات الميسورة. كما أن هناك يهوداً ومسيحيين وبوذيين ومن لا دين لهم وعبثيين، مضيفا أن ما كان يجمعهم هو رفضهم للظلم والاحتلال وإيمانهم بعدالة القضية الفلسطينية[125]. وقال أنضوني إن الحركة في البداية، كان يأتيها تشكيل واسع جداً من الأساتذة الجامعيين ونشطاء حقوق إنسان

---

[124] Charmin Seitz, *ISM at the Crossroads: The Evolution of the International Solidarity*, Journal of Palestine Studies, Vol,32 No.4. (2002), p50

[125] عبد الغني سلامة، *نموذج "بلعين" في المقاومة الشعبية*، في نجمة كنعان- المقاومة المدنية والثقافية الفلسطينية- معركة الهوية، ط1 (عمان: دار فضاءات للنشر والتوزيع، 2011)، ص108-109

ومحامين وطلبة جامعات وأفراد في الستين والسبعين من أعمارهم، ومع الوقت خاصة حين زادت الخطورة في عمل الحركة، أصبح المتطوعون من طبقة الشباب أكثر، وجزء منهم كان من "المهمشين" أو بتعريف أدق ممن يسمون بالفوضويين أو الـ"Anarchists"[126]. وهو ما أكده منسق اللجان الشعبية لمناهضة الاستيطان، جمال جمعة، حيث قال إن المتطوعين الدوليين ما بعد عام 2005، سمتهم الطاغية كانت من المهمشين/ الفوضويين. فيما اعتبر أن اتحاد الكنائس الذي لا يزال مواظباً على استقدام الوفود بشكل دائم، كان دوره أكثر تنظيماً من الحركة[127]. ويبدو من خلال كل المقابلات التي أجريت من أجل هذه الدراسة، أن الوفود التي تأتي عبر الكنائس منظمة أكثر من حيث الأعداد التي تأتي بشكل دوري تقريباً، والزيارات الميدانية والإقامة المخطط لها، ووضوح أهداف وبرنامج هذه الوفود إلى جانب هدف التعبد. حيث لا تأتي بالعادة هذه الوفود من أجل المرافقة مثلاً، إنما كشهود عيان لما يجري على الأرض حول أثر الجدار أو تمدد الاستيطان، ليعودوا إلى بلادهم ويتحدثوا عما يجري هنا، وبالتالي يشجعون مجموعات جديدة للقدوم.

أما عن آلية صنع القرار داخلها، فجميع المؤسسين أو الكتابات حول الحركة، أكدت أن الحركة كانت تأخذ قراراتها بالإجماع مهما أخذ منهم ذلك من وقت أو جهد ليتوافق الجميع على الخطوة المقبلة. ويقول أنضوني الذي كانت تعد إحدى مهامه حل المشاكل، إن مشكلتنا الفعلية أن تشكيلة

---

[126] أنضوني، مقابلة شخصية

[127] جمال جمعة، مقابلة شخصية، فلسطين، 12 تشرين الأول 2016

الحركة لا يمكن أن تكون مركزية، إنما كان يجب أن تكون جماعية، لكن في الميدان كان يجب أن يكون هناك انضباط يشبه انضباط الجيش. ويوضح: كنا نجلس في اجتماعات ليومين وثلاثة، حتى نستطيع اتخاذ قرار، لأنه كان من اللازم أن يقتنع كل الحضور بالقرار. ولكن بمجرد اتخاذنا للقرار، كنا نتحول إلى جيش، وهذه الطريقة الوحيدة التي نجحت معنا. وهذه كانت المعضلة بأن اجتماعاتنا كانت تستمر طوال الليل بالجدال والصراع لإقناع كل فرد بالقرار أو حتى للوصول إلى عدم معارضة على الأقل، وحقاً لم يكن سهلاً إدارة حركة مثلها. وهكذا كانت تدار الاجتماعات بالإجماع والتوافق الكامل، وكان المؤسسون مستعدين لبذل كل هذا الجهد للوصول للإجماع مقابل الالتزام على أرض الميدان بانضباط كالجيش، وهذا لا يعني أنهم كانوا دائما ينجحون[128]. هذه الآلية في صناعة القرار تجسيد آخر لسمات الحركات المعولمة الحديثة، ضعيفة المركزية، وهو ما يشكل سلاحاً ذا حدين، فمع هذه الديمقراطية والتخلص من تبعات فردية القيادة، يكون اتخاذ القرارات أكثر صعوبة.

3-9 الخسائر البشرية للحركة عبر عملها في فلسطين

مع أن النشطاء الدوليين كانوا أقل تعرضاً للخسائر البشرية بين صفوفهم، مقارنة بما تكبده الفلسطينيون من خسائر فادحة بشرية ومادية لا تعوض، إلا أن القتل والإصابات الحرجة والضرب والاعتقالات والإبعاد طال أعضاءها، وكان على رأسهم مقتل الناشط البريطاني توم

[128] أنضوني، مقابلة شخصية

هرندل بعد مقتل الناشطة الأمريكية راشيل كوري. ومع أن هذين الحادثين جلبا حملة استنكار عالمية ضد إسرائيل، إلا أن ذلك لم يمنع إسرائيل من استهداف زملائهما في الكثير من الحوادث. كما أن حملات الاستنكار الرسمية كانت محدودة، ولم تلزم إسرائيل بوقف اعتداءاتها تجاه الدوليين.

توم هرندل: كان هرندل ناشط سلام ومصوراً محترفاً، واهتمامه في السلام جاء به إلى العراق، ومن ثم إلى الأردن حيث تعرف على نشطاء في حركة التضامن الدولية وانضم إليها، إلى أن وصل قطاع غزة. أصيب يوم 11 أبريل 2003، على الشريط الحدودي في رفح، حيث كان يحاول إخلاء أطفال فلسطينيين علقوا تحت وابل من رصاص جيش الاحتلال، حين أطلق قناص إسرائيلي رصاصة باتجاهه أصابت رأس هرندل مع أنه كان يلبس سترة برتقالية مميزة لنشطاء الحركة. بعد 9 أشهر، توفي هرندل في لندن عن عمر 22 سنة[129].

راشيل كوري: وهي ناشطة سلام أمريكية، سحقتها جرافة لجيش الاحتلال الإسرائيلي يوم 16 مارس 2003، عندما كانت تحاول منعها من هدم منزل عائلة فلسطينية في رفح خلال الانتفاضة الثانية. وكانت تبلغ من العمر 23 سنة، وقد جاءت للقطاع قبل شهرين من أجل مشروع أكاديمي للجامعة التي كانت تدرس بها، قبل أن تنضم لحركة التضامن الدولية[130].

---

[129] "Tom Hurndall: a remarkable man's photographs of the Middle East", The Guardian, 1/3/2012, retrieved on 5/5/2016, in https://www.theguardian.com/artanddesign/2012/mar/01/tom-hurndall-middle-east-photographs

[130] Rachel Corrie Foundation for Peace & Justice, retrieved on 5/5/2016, in http://rachelcorriefoundation.org/rachel

علما بأنه لا يوجد شهداء فلسطينيين من الحركة، وإن سقط شهداء فلسطينيين في نشاطات تتضمن حضوراً مهماً للمتضامنين الدوليين، وأبرزهم باسم أبو رحمة، في قرية بلعين في إبريل 2009، بعد إصابته إصابةً مباشرة بقنبلة غاز[131] وشقيقته جواهر أبو رحمة، عام 2010، التي استشهدت إثر استنشاقها الغاز الذي أطلقه الجنود الإسرائيليون.[132]

3-10 العلاقة بين الحركة الشعبية الفلسطينية وحركة التضامن الدولية

إن هذا المبحث إشكالي، ليس فقط فيما بين من هم من حركة التضامن الدولية ومن هم جزء من حركات دولية أو فلسطينية أخرى، إنما أيضاً كانت هناك خلافات داخل الحركة فيما يتعلق بالعنصر الفلسطيني داخلها أو طبيعة العلاقة مع الحركة الشعبية. ومع أن جولاني وأنضوني اتفقا على أنه لولا وجود حركة شعبية فلسطينية لما وجدت حركة التضامن الدولية بشكلها الحالي، فإن هناك آراء تفترض أنّ وجود الحركة وجود طبيعي، حيث يوجد شعب تحت الاحتلال ولا يزال في مرحلة التحرير، وبالتالي لا يرى تلازماً حتمياً بين الحركة الفلسطينية والدولية. ووجهة النظر الأولى، ترى التضامن مع الحركة الفلسطينية، أمّا الثانية فهي تضامن مع الشعب الفلسطيني، بغض النظر عن وتيرة الحركة الفلسطينية.

---

[131] بيتسيلم، أم باسم أبو رحمة تطلب من محكمة العدل العليا إنهاء المماطلة في التحقيق بمقتل ابنها، 4 مارس 2013: https://www.btselem.org/arabic/press_releases/20130304_abu_rahmeh_petition

[132] حسام عزالدين، شهيدة بلعين، جواهر أبو رحمة (35 عاما)، الأيام، 2 يناير 2011، شوهد بتاريخ 2015/5/30، في https://bit.ly/2C7t7hl

ما يميز الحركة، الذي صعّب على إسرائيل تدميرها، هو أنها دون رأس ونموذج لعدم وجود تسلسل هرمي فيها. غسان أنضوني كان يريد أن يقود الحركة فلسطينيون وكان يرفض تحويلها إلى منظمة غير حكومية مثلاً، أو أن يأتي نشطاء من الخارج ليخبرونا ماذا نفعل. وهذا لم يكن يعني أن لدينا قادة فلسطينيين، حيث لا يوجد قادة في الحركة، بل كان يعني أن الحركة لا تتخذ المبادرات إنما تستجيب للمبادرات الفلسطينية الناشئة من جماعات أو مجتمعات مصغرة. أي أن للفلسطينيين أن يكونوا جزءاً من الحركة ويمكن لهم أن يبادروا للعمل. ومع ذلك، فإن الثمن الذي ندفعه نحن كإسرائيليين وأجانب ليس كالثمن الذي يدفعه الفلسطينيون في أماكنهم خلال مقاومة الاحتلال، ولذلك هم من يضعون أجندة الحركة ولسنا نحن، لأنه بالنهاية هم من سيدفعون الثمن الباهظ. كما كان أنضوني يصر على أن الحركة ليست حركة سلام للذين يودون القدوم للاطلاع على الأوضاع وتقييم توجهاتهم وتفهم وجهة نظر الطرفين، فهذه حركة مقاومة لاعنفية، يقودها فلسطينيون ويجب أن تأخذ موقفاً لا أن تقف بين الطرفين[133].

وبداية بالعنصر الفلسطيني في الحركة، فمن الجلي جداً أن الحركة ومؤسسيها كانوا مصرين على أن الحركة فلسطينية وقيادتها فلسطينية والوجود الأجنبي ما هو إلا لمساعدة الحركة وحمايتها. وكان الدوليون يفسحون المجال أمام الفلسطينيين لأن يظهروا أكثر من الدوليين فيما يتعلق بتحديد الأنشطة ومدى مواءمتها للحراك الفلسطيني. ولكن ذلك كان محرجاً للبعض، حيث

[133] جولاني، مقابلة شخصية

إن الأعداد المحلية التي انضمت للحركة كانت محدودة جداً مقارنة بالدوليين، وكان هناك شعور بعدم أحقية أن تتخذ المجموعة الصغيرة القرارات في ظل وجود مجموعة أكبر[134].

وتوضح عرّاف أن الأمنية عندما تأسست الحركة أن تصبح حركة فلسطينية بدعم الدوليين لهم "كعولمة الانتفاضة"، خاصة في فترة كان الفلسطينيون محبطين جداً، حيث لم يكن هناك سلام على الأرض كما اعتقدوا. لكن ذلك لم يحصل، ففعلياً بقيت الحركة بطريقة أو أخرى للدوليين، لكن المهم أن الحركة لا تزال تعمل. خاصة أن أهمية الحركة تتلخص بثلاثة محاور رئيسية، وهي: تقديم الحماية للفلسطينيين، وتغيير الرأي العالمي من خلال الإعلام خاصة أنه أصبح هناك شهود عيان، وأخيراً ما يفعله النشطاء بعد عودتهم إلى بلادهم، وذلك تجلى بأن نشطاء الحركة هم الأكثر نشاطاً الآن في حركة المقاطعة الدولية[135].

الناشط السابق في الحركة عيسى عمرو، مؤسس ومنسق تجمع "شباب ضد الاستيطان"، كان له رأي متشدد فيما يتعلق بتركيبة الحركة ومنبع قرارها، حيث كان يود أن يكون القرار فلسطينياً في هذا الجسم الفلسطيني، والتدخل أقل من النشطاء الأجانب، ويصر على أن كل التأكيدات بأن الحركة يقودها فلسطينيون ما هي إلا شعارات. ويضيف أن الحركة تأتي بأجنبي لم يمكث أسبوعين في فلسطين وتكون له سلطة في وضع القرارات أو الاعتراض عليها، فيما الحاجة فعلياً إلى جسم فلسطيني يمكن لأي فلسطيني أن ينضم إليه، دون عائق اللغة أو الثقافة، ولهذا

---

[134] أنضوني، مقابلة شخصية
[135] عراف، مقابلة شخصية

كان من الشباب الذين بدأوا العمل على إنشاء تجمعات فلسطينية ولم يعد عضواً في الـISM، ومبرره أن معظم الشباب الفلسطيني مقتنع أننا لسنا بحاجة إلى أجنبي يقود نضالنا، وأفضل ترتيب للحركات أن تكون الأكثرية فلسطينية مقابل أقلية أجنبية[136]. وهنا يكشف عمرو عن أحد أسباب ضعف الوجود الفلسطيني في هذه الحركة، وهو اللغة، وصعوبة التواصل، فضلاً عن الشعور المحلي بعدم وجود معرفة ودراية لدى الناشطين ليكونوا في صلب صناعة القرار. ولكن هذا لا يلغي أيضاً أنّ افتقار الفلسطينيين للتنظيم يجعل عملية استفادتهم من التضامن الخارجي أكثر صعوبة.

لا يتفق عبد الكريم دلبح[137]، وهو متطوع في الحركة منذ عام 2002 وكان مقرباً من مؤسسي الحركة، مع وجهة النظر التي يعبر عنها عمرو وآخرون. ومع أنه يرفض وجود هرمية في الحركة، إلا أنه الوحيد من الجيل السابق للحركة، الذي كان مستمراً فيها أثناء إعداد هذه الدراسة، وهو الذي يقود الحركة ليس بالمعنى الأيديولوجي إنما بالمعنى اللوجستي فقط. حيث قال إن كل الاتهامات بأن الأجانب هم من كانوا يصنعون القرار غير صحيحة، القرار كان فلسطينياً وتحديداً من المؤسسين أو الذين يستمرون لفترات طويلة في فلسطين، وهؤلاء معظمهم فلسطينيون. ولكن دلبح يرى أنّ المشكلات التي برزت أثناء مسيرة الحركة، تعود لأسباب أخرى، وأن الانقسام

---

[136] عيسى عمرو، مقابلة عبر سكايب، 14 تشرين الأول 2017

[137] عبد الكريم دلبح: أسير محرر وناشط في الانتفاضة الثانية، تعرف على الحركة عام 2002 حينما كان يعمل صحفياً في جريدة الأيام، عندما استضافت جمعية الهلال الأحمر الأعضاء الأجانب في طابق يتبع لميتم الطفولة في طولكرم وكونه عضو هيئة إدارية تعرف عليهم ومنذ ذلك الوقت وهو متطوع في الحركة.

بين الفلسطينيين ليس بعيداً عن انقسامات بين الأعضاء الأجانب، ويرى أنّ النشطاء الأجانب ساهموا في الانشقاقات، فكانوا ينحازون لأحد مقابل آخرين، وبالتالي، فمعظم الأجسام الجديدة للفلسطينيين دعمها نشطاء أجانب اختلفوا فيما بينهم على وجهات النظر وأصبح كل واحد منهم يدعم جهة.

ويكشف دلبح أنّ نشطاء خرجوا من الحركة بسبب خرقهم مبادئ الحركة كالقرارات الجماعية أو لقضايا تحرش جنسي أو خرق مالي –أهداف خاصة (مادية)– وكان ذلك ينطبق على كلا الجانبين الأجانب والفلسطينيين[138].

فيما أكد الناشط في الحركة كرم[139] (اسمه الحركي حيث فضل عدم ذكر اسمه)، الذي انضم إلى الحركة في نهاية عام 2011، أن الحركة لو نشأت دون قيادة فلسطينية لأصبحت مثلها مثل المنظمات غير الحكومية التي تأتي بأجندة محددة، لكن ولأن توجهها حسب الحاجة الفلسطينية جاءت بنتائج إيجابية[140].

ويبدو أن أحد أهم الخلافات الأساسية التي كانت تظهر كل فترة في الميدان تحديداً، كانت تتمحور حول الخيار السلمي للحركة مقابل خيار المقاومة المسلحة للفلسطينيين، وكيف

---

[138] عبد الكريم دلبح، مقابلة شخصية، فلسطين، 19 تشرين الأول 2017

[139] كرم، انضم لحركة التضامن الدولية نهاية عام 2011، عندما كان متطوعاً مع الهلال الأحمر كمسعف في التظاهرات قبل ذلك بأربع سنوات وحتى الآن. وحينها تعرف على المتضامنين الفلسطينيين والأجانب خلال التظاهرات، ومن بعدها انضم للحركة وأصبح مقرباً مع بعض الأصدقاء الأجانب حيث دعوه إلى حضور أحد الاجتماعات الرئيسية core meetings، وكانوا في حينه بحاجة إلى وجود فلسطينيين أكثر في الحركة.

[140] كرم، مقابلة شخصية، فلسطين، 13 تشرين الأول 2017

يمكن التقريب بين هذين الخيارين، وهل يمكن للدوليين أن يملوا رأيهم على الفلسطينيين في رفضهم لأي مقاومة غير سلمية. كما أن رفض المتضامنين لأي أنشطة قد تكون فيها مقاومة مسلحة، أشعر الفلسطينيين أحياناً بأن الدوليين قد يعرقلون أعمال المقاومة. وأحد الأمثلة على ذلك رفض أهالي الخضر في صيف 2001، أن تقيم الحركة خيمة دروع بشرية في بلدتهم، حيث كانت هدفاً للهجمات الإسرائيلية عليها. وجاء رفض أهالي القرية ذلك لأنهم كانوا يرون أن هذه الفعالية ستعيق المقاومة في البلدة. كما رفض أهالي البلدة وبلدات أخرى فلسطينية في عدة مرات مشاركة الإسرائيليين في أنشطة الحركة، الأمر الذي كان يتفهمه أنضوني، مشيراً إلى أنه ناضل كثيراً من أجل اعتماد سياسة داخل الحركة بألا يسمح لمشاركة الإسرائيليين في أي فعالية دون موافقة المجتمع المحلي[141].

وبالعودة إلى الصراع الأول حول قيادة فلسطينية أو دولية، فيبدو أن الصراع كان في بداية نشأة الحركة ما بين عرّاف من طرف، مقابل أنضوني وجولاني من طرف آخر، حيث كان الأخيران مصرين على أن قيادة الحركة يجب أن تكون من الفلسطينيين المحليين، فيما كانت ترى عرّاف أنه يجب أن تكون الحركة بقيادة دولية لتتجاوز المنافسات الفلسطينية، وبالتالي تصبح أكثر فعالية مع جميع الفلسطينيين بغض النظر عن انتماءاتهم. كما كانت تعتقد أن دور الدوليين يجب ألا ينحسر بتوفير الدعم الجسدي فقط، إنما في رسم الاستراتيجيات السياسية. ومع عمق الخلاف،

[141] Seitz, ISM at the Crossroads, p.40

إلا أنهم كانوا يجمعون بأن عمل الحركة يجب أن يكون بالتنسيق مع النشطاء الفلسطينيين[142]. ومن الواضح أن هذه المرحلة طويت ما أن تأسست الحركة وانشغلت بفعالياتها وأنشطتها.

ويمكن تلمس أهمية العلاقة الجيدة مع الفلسطينيين من أجل نجاح الحركة وفعالياتها آنذاك، فكان أساس الفعاليات هو العلاقة الجيدة مع سكان المنطقة، خاصة النشطاء فيها. ولم يكن ممكناً أن تنجح هذه الفعاليات إذا ما كان هناك رفض فلسطيني أو عدم تقبل. يقول الناشط تريفور باومجارتنر أن أحد أهم احتياجات وإنجازات الحركة من أجل استمراريتها، هو العلاقات التي تم بناؤها مع السكان الفلسطينيين في المناطق التي عملت الحركة فيها، وهذه العلاقات كانت محطات لتقييم ومحاسبة أنشطتنا لبناء حركة مستدامة وعلى عكس أنشطة فيها احتجاجات كبيرة، ولكن بأهداف قصيرة المدى[143].

يقول أنضوني إن حركة التضامن الدولية تعاملت مع الكثير من الحركات المحلية التي كانت محدودة حسب قوله، حيث لم تكن هناك مجموعة محلية كبيرة تعمل كنشاط حركة التضامن، وجزء من الحركات كان التعاون معها سهلاً ومفيداً، وجزء آخر كان يطمع بأخذ "السمعة" من عمل الحركة. فخلال حصار الشهيد ياسر عرفات "أبو عمار"، وعندما اقتحم دوليون المقاطعة لفك الحصار، كان على سبيل المثال هناك قيادي يعمل في منظمة غير حكومية ضد فعاليتنا،

---

[142] Ibid. P.50

[143] Trevor Baumgartner, *A Strange Trip, Account of the Second ISM Campaign*, in Peace Under Fire, Josie Sandercock et.al. (London: Verso 2004), p35-42

وحاول منع النشطاء الذين جاءوا عن طريقه من الدخول مع نشطاء حركة التضامن الدولية. وعندما أصر النشطاء على الاقتحام وانضمت معهم مجموعته، كان أول من ظهر على "الجزيرة" ليعلن الدخول إلى المقاطعة. ونفس الشيء حصل مع الحركة خلال كسر حصار كنيسة المهد، عندما عاتبتهم بعض القيادات الشعبية والعاملون في مؤسسات غير حكومية، حول عدم ذكر الحركة نيتها كسر الحصار، ولاحقاً خرجوا للصحافة وقالوا إن نشطاء معهم شاركوا في فعالية حركة التضامن. "هذه الحالة كان فيها مد وجزر، ولكن البعض أتعب كاهلنا وكنا ننتظر أن ينزلوا عن كاهلنا قليلاً". ويضيف: "فصائل العمل الفلسطيني بقيت تعتبر حركة التضامن الدولية جسماً غريباً"، وهو لا يلومهم لأنها فعلاً جسم غريب غير محلي، ولكنهم لم يجدوا مساندة حقيقية من قبل التنظيمات الفلسطينية. وبرأيه لو وجدت الحركة مساندة حقيقية، لكانت الأمور أفضل بكثير. وللتوضيح أكثر، يقول إنّ الحركة لم تجد عداء ولكنها لم تجد مساندة، وبرأيه أن أحد أسباب عدم وجود عداء كان علاقات شخصية، مثل علاقاته هو، بقيادة التنظيمات الفلسطينية في مختلف المناطق حيث التقاهم في سجون الاحتلال. ويوضح أنّه كان يذهب إلى المناطق الفلسطينية للتمهيد لوجود الأجانب، كما أن إنجازات الحركة مع الزمن زادت من قبولها بين الفلسطينيين. ويكمل أنضوني "أنّ التنظيمات الفلسطينية لم ترَ نفسها كجزء من هذه الحركة، وهذه المشكلة الكبيرة".

في أحد الاجتماعات الكبيرة في نابلس، قال أنضوني، إن الحركة قد يكون لها أثر استراتيجي ما إذا قررت التنظيمات الفلسطينية أن تنخرط فيها، وفي المقابل لن يكون لها أي أفق

استراتيجي إذا ما بقيت تمثل جماعات صغيرة من الفلسطينيين وآلاف من الأجانب. وعلى الأرض، منعت الفصائل الفلسطينية توسع الحركة، في بعض الحالات، فمثلاً عندما بدأت الحركة فعاليات مناهضة الجدار في جيّوس، تفاعل الأهالي في البداية، لكنهم لم يكملوا هذا التفاعل. ويرى أنضوني أن أحد أخطائهم كان عدم الانتقال إلى القرى، لكن في المقابل كانت هناك تنظيمات في القرى بإمكانها أن تعوض فكرة عدم وجود حركة التضامن الدولية، وأن تخلق حالة تستمر في فترة زمنية أطول. وبرأيه أنّه كان يمكن القيام بتحركات أكثر ضد بناء الجدار، لو حدث تآزر أفضل بين المحلي والدولي. فالحركة مثلاً لم تكن لديها مشكلة مواجهة الجرافات وهدم بوابات وضعها الاحتلال مثلما جرى في قرية عانين قضاء محافظة جنين. لكن أعداد المتضامنين كانت قليلة والمساندة الجماهرية كانت محدودة لأن التنظيمات الفلسطينية لم تنخرط بقوة في أنشطة الحركة. ويختتم حول هذه النقطة: "في الكثير من المرات، كان هناك شعور لدى الفلسطينيين أن جماعة الحركة محميون، لكننا –الفلسطينيين– وضعنا مختلف. لم يكن بمقدور الحركة خلق حالة عامة في فلسطين"[144].

أضافت عرّاف لما يورده أنضوني أن الإنجازات الكبيرة التي أحرزتها الحركة ما كانت لتحصل لولا وجود حركة محلية فلسطينية، ومع أنهم كانوا يخلقون حالة جديدة في كل نشاط جديد، لكن المبادرة لاحقاً أصبحت للجان المحلية. ومنذ البداية، لم تكن فكرة إنشاء الحركة، إحلال

[144] أنضوني، مقابلة شخصية

دوليين مكان الفلسطينيين، "لذلك عندما شعرنا أن هناك اعتماداً على الدوليين أصبح الفلسطينيون لا يتحركون دون وجود دولي، عالجنا ذلك ورفضنا أن نكون بديلاً". ولكن برأي عرّاف أن الإنجازات الكبيرة في فلسطين مربوطة في الحركة الفلسطينية على الأرض، ولكن إنجازات الحركة في الخارج ليست كذلك كما أنها مستمرة وبقوة أكثر مما هي عليه في فلسطين[145].

وبرأي نيتا جولاني، فإن التضامن الدولي مع الفلسطينيين كان موجوداً في السابق، لكن ليس كحركة التضامن الدولية. وتورد جولاني مثالاً لويزا مورجانتيني، لتشرح الفرق بين الحركة وشكل التضامن الموجود سابقاً، حيث إن حركة التضامن الدولية جاءت داعمة للمقاومة وليس كباقي التضامن الذي كان موجوداً وانحسر باطلاع الدوليين على وقائع الأرض ولكن دون مشاركة في تحدي هذه الوقائع كما كانت تعمل مورجانتيني منذ زمن طويل[146]. وللتوضيح هنا، لم يكن القصد من جولاني أن تقلل من أهمية واستراتيجية ما كانت تفعله مورجانتيني، إنما الحديث عن تغيّر شكل التضامن مع الفلسطينيين، الذي جاء عبر حركة التضامن الدولية. وهنا يمكن القول إنّ النشاط الذي تقوم به مورجانتيني، كما تقدمه جولاني، يتركز في عنصر "مواجهة المعلومات"، و"الكيد المرتد"، فيما قدمت حركة التضامن الدولية، إضافة نوعية، هي أداة "المرافقة على الأرض". وبطبيعة الحال، فإنّه يجدر تذكر ما أشار له نبيل شعث، كما ورد في الفصل السابق، من استمرار

---

[145] عراف، مقابلة شخصية
[146] جولاني، مقابلة شخصية

وتطور العلاقات التضامنية التقليدية، التي تعتمدها الحركات السياسية الرسمية أحياناً، من عمل حزبي، وتواصل مع الحكومات والسياسيين، عبر الأحزاب والحركات النظيرة.

وكان لجمال جمعة، رأي مختلف بعض الشيء وأكثر نقديةً فيما يتعلق بالعلاقة بين الحركة الشعبية الفلسطينية وبين حركة التضامن الدولية بالتحديد، خاصة فيما يتعلق بوجود الإسرائيليين بين المتضامنين، حيث يقول إنه أصبح هناك اختراق للقرى الفلسطينية من "أجسام غريبة" دخلت على موضوع المقاومة الشعبية. ففي أوج المقاومة، أصبح هناك خلط حول من يقوم بالعمل الشعبي الوطني، في وقت أصبح المتضامنون الأجانب يقومون بتنسيق أحادي الجانب مع المتضامنين الأجانب وأعضاء التعايش، حتى أصبح كل ذلك خارج نطاق السيطرة والتنظيم، كما أصبحت هناك تساؤلات حول وجود الأجانب والإسرائيليين ودورهم في المقاومة الشعبية. ولذلك، عقد اجتماع في طولكرم في شهر تموز 2003، لمنسقي اللجان المحلية وحضره حوالي 40 شخصاً، تم خلاله نقاش موضوع العلاقة مع المتضامنين والإسرائيليين فيما يتعلق بالتضامن مع المقاومة الشعبية. وقد سبقت ذلك الاجتماع أحداث سرّعت من ضرورة عقده، وعلى سبيل المثال، عندما أنشأوا الموقع الإلكتروني STOPTHEWALL.ORG، أسس إسرائيليون موقع STOPTHEWALL.IL وأصبحوا ينسخون مواد الموقع الفلسطيني على موقعهم. الأمر الذي سبب إرباكاً حول إذا ما كانا حركة مشتركة! ومن هذه النقطة، تحتم تحديد الأمور، وعليه خلص الاجتماع إلى مواقف مبدئية تسري حتى يومنا هذا، وأهمها "أن الحركة الشعبية الفلسطينية حركة فلسطينية، ستكون قيادتها فلسطينية وقرارها فلسطينياً. ثانياً، الأجانب والإسرائيليون متضامنون

ونحن من نحدد شكل التضامن ونوعه وحجمه وتوزيعه على القرى، ولن نخرج بأي بيان مشترك". في ذلك الوقت، يقول جمعة إنهم (كقيادات فلسطينية محلية) كانوا يشعرون بالخطر على مستقبل الحراك الشعبي فيما يتعلق بنظرة أهالي القرى لهم ولعملهم، وكانوا معنيين بحركة فلسطينية مستقلة ونقية، وواضح لدى الفلسطينيين من هم ومن يتخذ القرار. وبناء على ذلك، تم الاجتماع بحركة التضامن الدولية والإسرائيليين، لتوضيح صلاحيات وأدوار كل طرف، وتم التأكيد على ألا تكون هناك فعاليات مشتركة مع المتضامنين الإسرائيليين، إنما يأتي الإسرائيليون من جهتهم من الجدار (من وراء الجدار)، فيما يأتي الفلسطينيون من الجهة الفلسطينية، وللأجانب الخيار أن يكونوا في أي جهة. كما تم التوضيح للأجانب أنه لا يمكنهم الذهاب إلى أي قرية دون التشاور مع الحركة الفلسطينية، حيث تقرر الأخيرة أين يحتاجون لدوليين وكم العدد المطلوب. بهذه الطريقة، برأي جمعة، يمكن ضبط الأمور بوضوح أكثر؛ الدوليون لهم الإسناد والتضامن، وللفلسطينيين دور إدارة الصراع فيما يتعلق بالاحتلال والتنظيم الجماهيري والشعبي لقضية المقاومة، و"بهذه الطريقة يخدم بعضنا بعضاً". وبناء على ذلك، وضعت خطة عمل لنهاية تلك السنة (2003) بكل الفعاليات المطلوب تنفيذها، وآنذاك "طلبنا برنامجاً مقابلاً من المتضامنين الإسرائيليين على مستوى التوعية الإعلامية والمظاهرات في الداخل، على أن نحدد فعاليات مشتركة أيضاً".

لكن ذلك لم يعجب الطرفين الإسرائيلي والأجانب، ويوضح جمعة: "للأسف وجدوا من يتعاون معهم من الفلسطينيين في ذلك. وفي حينه، اتخذت حركة التضامن الدولية، قراراً بتعيين منسقين فلسطينيين لهم، وتم تزويدهم برصيد لهواتفهم النقالة ومبلغ صغير كمصروف، واعتمدوهم

في القرى الفلسطينية كعناوين. وعملياً، هم تجاوزوا الحركة الفلسطينية في هذا الموضوع، ونحن لم نرد على ذلك بإشكال إنما تركنا لهم الخيار بما سيعملون ونحن أكملنا العمل بقناعاتنا".

تكشف هذه التفاصيل التي يقدمها جمعة، عن نموذج للخلافات التي قد تبرز في سياق عولمة، صراع ما، بتحقيق تآزر عابر للحدود.

ويوضح جمعة موقفه، وموقف فريق من الفلسطينيين من ذلك، أن تعيين منسقين من قبل الأجانب ليس بأن يختارهم فلسطينيون، حيث كانوا يجرون فحصاً حول من سيختارون وخلفياتهم، فأهل البلد أدرى بشعابها. "بتقييمنا، هذا الشكل من العمل أضر بالحركة، بعدم تنسيقهم مع الحراك الشعبي، وكان هناك الكثير من القضايا التي كان من الممكن أن يتم تجاوزها لو تم التنسيق مع الحركات الشعبية التي يقودها الفلسطينيون". وحينها برزت العديد من المشاكل على المستوى الاجتماعي، ففي بعض الحالات لم يكن اختيار المنسق مناسباً. كما أنهم اضطروا لاحقاً لإعطاء دروس توعية حول العادات المجتمعية واللباس المناسب، حيث حدثت مواقف سوء فهم فيما يتعلق بهذه القضايا. وكان لذلك انعكاسات وإرهاصات، ولذلك كانت "فكرتنا أننا نحن من نحضر المتطوعين ونعرفهم للناس ونقدمهم، لأنه كان من السهل كلجان شعبية فلسطينية تعمل في القرى، أن ندخل المتضامنين ونقدمهم بطريقة مختلفة عما قدموا أنفسهم بها للقرى الفلسطينية". ومن هنا، ولتجني الحركة ثمارها ولتكون أكثر انضباطاً، "كان يجب أن تكون عبر بوابة فلسطينية موثوقة ولها خبرتها ومعروفة في الميدان، ولها عناوين واضحة، وكنا مستعدين لتوفير هذه القاعدة.

وصراحة نحن تأثرنا من ذلك بشكل غير مباشر، حيث من لم يكن مطلعاً على الصورة بتفاصيلها، ولم يكن يعرف ماذا يجري وما هو موقف الحملة الشعبية من ذلك"[147].

[147] جمعة، مقابلة شخصية

الفصل الرابع:

أسباب تراجع حركة التضامن الدولية والتقييم العام

سيخصص هذا الفصل لشرح التحديات التي واجهتها الحركة فلسطينياً ودولياً من خلال اختزالها في تحديات رئيسية وأخرى هامشية، وعلى أساسها يقدم الفصل تقييماً عاماً بالإيجابيات والسلبيات التي توضحت في مسيرة حركة التضامن الدولية. كما سيرد في الفصل باب حول علاقة الحركة بهبّة 2015، حيث كان من الواضح أن الحركة فشلت في تقديم بديل فاعل للشباب الفلسطيني للمقاومة الشعبية بدلاً من التوجه لعمليات القتل المباشرة، مقابل تقدم حركة مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها.

4-1 التحديات وأسباب التراجع

مما لا شك فيه أن وجود حركة دولية في فلسطين دون مرجعية تاريخية أو تحت إطار مؤسساتي واضح، تحدٍ قائم بذاته للحركة وللقائمين عليها ولنشطائها، إلى جانب التحديات التي واجهوها خلال مسيرتهم. ويمكن حصر التحديات والعقبات التي واجهت الحركة، بثماني نقاط للتوضيح وليس للحصر، تغطي الجوانب الثقافية والاجتماعية، والدعم المالي، والاحتلال، والصراعات داخل الحركة.

التحدي الأول والأكثر أهمية، هو تراجع المقاومة الشعبية في فلسطين وفقدان الثقة فيها وفي كثير من القيادات الفلسطينية التي أصبحت مستفيدة بنظر أهالي المناطق النشيطة في المقاومة الشعبية. فغياب المقاومة الشعبية الفاعلة على الأرض أثر على التواجد الدولي في فلسطين وليس على التضامن الدولي في الخارج، فالعمل خارجياً له مساحات الآن خاصة فيما يتعلق بالمقاطعة[148]. وحول ذلك تقول جولاني إن النشاط الفلسطيني على الأرض انخفض نوعاً ما، والنشاط الموجود الآن غير منظم. مضيفة: "كنت حقاً أود خلال الأحداث التي سميت انتفاضة السكاكين، أن نوفر للشباب الذين استشهدوا أو اعتقلوا سبلاً أخرى للمقاومة بدلاً من الموت. أعتقد أنه كان فشلاً كبيراً لنا أننا لم نقدم وسائل مقاومة أخرى بعيداً عن مصير الاستشهاد"[149].

وفي الوقت نفسه، يقول كرم إنه لولا وجود المقاومة الشعبية لما وجدت حركة التضامن الدولية، بل أصبحت مثل المنظمات غير الحكومية، يأتون إلى فلسطين بأجندة معينة لتطبيقها بناء على رؤيتهم دون التشاور مع الفلسطينيين[150]. والشيء نفسه، أكدته الناشطة الأيسلندية سيلفيا، فيما يتعلق بأهمية وجود النشطاء الفلسطينيين، حيث تجزم بأن لا وجود للحركة دون فلسطينيين[151].

التحدي الثاني، كان في اختلاف الثقافات بين الفلسطينيين والدوليين، ومع أن الحركة خصصت وقتاً طويلاً من التدريب الذي يفرض على نشطائها للحديث حول احترام العادات

---

148 دلبح، مقابلة شخصية
149 جولاني، مقابلة هاتفية
150 كرم، مقابلة شخصية
151 هارالدسون، مقابلة شخصية

والتقاليد والثقافة، إلا أن الحركة واجهت مشاكل معينة في هذا المنحى. يقول أنضوني إن من أصعب القصص التي واجهته، خاصة أنه كان مسؤولاً عن حل مشاكل الحركة، عندما اكتشف أن إحدى المتضامنات قد تزوجت من فلسطيني عمره 16 سنة مع أنها تكبره في السن كثيراً، وتزوجها لأنه يريد أن يسافر إلى أمريكا معها. ومثل هذه القضية تسبب مشكلة بين المجتمع الفلسطيني، وبين العقلية الأجنبية التي ترفض التعدي على خصوصية الآخر. وهذه المشكلة تحديداً خلقت صراعاً حاداً ما بين الثقافة الغربية والمحلية، وأحدثت نزاعاً بين النشطاء المؤيدين للثقافة الغربية، ومنهم فلسطينيون، وما بين نشطاء محليين كانوا معارضين جداً. كما ذكر أنضوني عقبة أخرى قد لا تصنف جيداً هنا، لكن يجب ذكرها، وهي ارتباط الدوليين العاطفي بالمناطق التي كانوا يعملون بها ورفضهم تغيير مناطق نشاطهم، وهذ العقبة كانت لاحقاً سبباً من أسباب تراجع الحركة في مرحلة سابقة[152]. وفيما يتعلق بالثقافة والاختلافات الاجتماعية، تقول عرّاف إن إحدى المشاكل التي واجهوها كانت تسجيل حالات تحرش جنسي من قبل فلسطينيين، وأحد الانتقادات التي كانت توجه للحركة زواج فلسطينيين من أجانب للسفر إلى الخارج[153]. وبالحديث عن حالات التحرش الجنسي، يقول دلبح إن هناك العديد من الحالات التي سجلت في الحركة ولكنها لم تؤثر على الحركة كثيراً، فالنشطاء الذين أسيء إليهم معظمهم عاد للعمل لفلسطين لأنهم أدركوا أن هذا الفعل فردي وليس ثقافة مجتمع. كما أنه

[152] أنضوني، مقابلة شخصية
[153] عراف، مقابلة شخصية

لم يؤثر على أعداد النساء المشاركات في الحركة هنا، بل هناك ظاهرة أن أعداد الإناث من النشطاء في فلسطين تطغى على أعداد الذكور. مقابل أن الإناث من الفلسطينيين عددهم قليل جداً مقارنة بأعداد الذكور وذلك بسبب القيود الاجتماعية على ما أعتقد. من المفارقة أننا نرسل إناثاً من الأجانب لمساعدة الفلسطينيين في قطف الزيتون، فيما يكون المزارع الفلسطيني قد جلب ابنه فقط[154].

ثالثاً، إحدى العقبات التي واجهت الحركة كانت الصراع الداخلي داخل الحركة نفسها، فكما يقول أنضوني عن نفسه إنه كان دائماً في صراع محبة مع هويدا وآدم، حيث اختلفت وجهات نظرهم في بعض الأمور، وفي فترة حصل احتكاك كبير حتى قرر آدم ترك الحركة. أما هويدا فكانت مندفعة أكثر ومع أنه كان يقدر اندفاعها، لكن في الكثير من المرات كانت وجهة نظره أن هذا الاندفاع مضر. عقبة داخلية أخرى، كانت الصراع الذي نشب بين الفلسطينيين داخل أقاليمهم بعد اكتسابهم مكانة وموقعاً بسبب عملهم مع الدوليين، ورفضهم نقل مراكز الحركة للقرى بدلاً من الجدار، حيث أصبح الجدار أولوية للمقاومة. وسبب آخر للصراعات، أن النشطاء الذين كان يعتمد عليهم في المدن الفلسطينية، جزء كبير منهم أصبح خارج البلاد بعدما تزوجوا بأجنبيات. وهنا يمكن الحديث عن أجندات وطنية، مقابل حالات فيها أجندات شخصية، واستبدال العناصر ليس سهلاً أبداً في المجتمع الفلسطيني[155]. أما الخلافات الحديثة التي هي الآن تحت الضوء في

---

[154] دلبح، مقابلة شخصية
[155] أنضوني، مقابلة شخصية

الحركة، كما تحدث كرم، "هناك خلاف آخر حول هل يجب أن نخبر النشطاء الجدد حول النشطاء/ القيادات المحلية التي عليها تهم فساد أو تطبيع أو تحرش مثلاً سواء أكانوا داخل الحركة أم خرجوا منها؟ أنا كنت مع إخبار النشطاء بذلك، ولكن هناك من كان داخل الحركة ضد ذلك حتى لا تستغله الأجهزة الأمنية الإسرائيلية في تشويه سمعة النشطاء المحليين"[156].

رابعاً، تقبل الفلسطينيين للأجانب كان إحدى العقبات في مسيرة الحركة، وقد لا يكون العقبة الرئيسية والأصعب، إلا أنه كان عقبة أحياناً. وحول ذلك، تعلق نيتا جولاني: في البداية، كان الفلسطينيون مضيافين للأجانب جداً ومتأثرين بوجودهم وأقل اشتباهاً بهم كما هو عليه الحال اليوم؛ وهذا لا يعني أنهم كانوا لا يشتبهون بهم على الإطلاق، إنما عندما تكون في وضع حساس جداً وتحتاج للمساعدة فإنك لن تشتبه كثيراً بهم. وعندما تساعد الناس، يقدرون لك ذلك. وتقول جولاني إنه وبشكل عام عندما لا توجد مقاومة ولا يوجد عمل نقوم به، تظهر حالة من عدم الراحة بيننا وبين الفلسطينيين، وتبدأ التساؤلات حول وجودنا وعملنا. وحتى داخل الحركة وعندما تهدأ الأمور، نمر بمراحل تساؤل حول سبب وجودنا، لكن بمجرد حدوث أي شيء على الأرض تختفي هذه الحالة. عندما تكون هناك مقاومة، يتحد الجميع معاً، وهذا ينطلي علينا أيضاً. بشكل عام، الأمور أصبحت أصعب، ففي السابق كان الناس أقل توجساً ودراية، لكن الوضع مختلف الآن، وقد يكون بسبب الحرب على الإرهاب، أو

---

[156] كرم، مقابلة شخصية

تدهور علاقة الغرب بالعرب مثلاً، أو الحرب ضد الإسلام. ومثال على هذا التحدي، في تل الرميدة، حيث يحتاجنا السكان كثيراً خاصة في المنطقة الخاضعة تماماً للسيطرة الإسرائيلية. وهم ممتنون جداً لتواجدنا، فنحن نأخذ أولادهم إلى المدارس ذهاباً وإياباً من أجل حمايتهم، وهذا نوع من المقاومة والصمود. لكن ما إذا انطلقنا للمناطق المصنفة H1 تحت السيطرة الفلسطينية، فالناس هناك لا يعرفوننا ولا يعرفون ماذا نفعل وقد يكونون عدائيين تجاهنا. ومثال آخر، حيث كنا نبيت في بيوت استشهاديين مهددة بالهدم لحماية ساكنيها، لم يتساءل أحد عن سبب وجودنا، ولم يهتم بديننا وجنسيتنا[157]. كما لم ينسَ أنضوني ما عاناه النشطاء الدوليون في رفح، حيث تعرضوا بشكل مستمر ولفترة طويلة للرشق بالحجارة من قبل أطفال كلما مروا في الشارع، حتى اعتادوا على وجودهم[158]. وعن تجربة بلعين مع حركة التضامن الدولية، يقول منسق اللجنة الشعبية لمقاومة الجدار والاستيطان في بلعين عبد الله أبو رحمة، إن بداية العلاقة بين النشطاء والمحليين الفلسطينيين لم تكن سهلة كثيراً، وكان هناك العديد من اللقاءات والمحاضرات التوعوية، وعندما رأى الفلسطينيون النشطاء الأجانب يتعرضون للاعتقال والعديد منهم أصيب، بدأت تتغير طبيعة هذه العلاقة وأصبحت أقوى[159]. علماً بأن هذه النظرة لم تتغير كثيراً حتى في عام 2017، حيث يقول دلبح إن نظرة الشعب الفلسطيني للأجانب غير ناضجة بعد، ودائماً لدينا تساؤلات لماذا ترك هذا الأجنبي حياته وبلده ليأتي

---

[157] جولاني، مقابلة شخصية
[158] أنضوني مقابلة شخصية
[159] عبد الله أبو رحمة، مقابلة شخصية، رام الله، 1 آذار 2015

هنا ويتحمل صعاباً؟ هذه السيدة الكبيرة في العمر جاءت هنا لتساعد في قطف الزيتون واستنشاق الغاز من الاحتلال؟ ثقافة التطوع والتضامن الدولي ليست موجودة على نطاق واسع هنا. وكانت هناك شكوك بأن هناك من هو جاسوس أو أنهم مستفيدون من وجودهم هنا. كما تم خداع الأجانب أكثر من مرة وتم استغلالهم لتجنيد أموال لصالح جماعة معينة وهمية أو مستفيدة أو أشخاص. وجرى مؤخراً اكتشاف تجنيد أموال لمؤسسة نسوية مغلقة منذ 5 سنوات[160].

أما التحدي الخامس، فكان تمويل الحركة خاصة أنها معتمدة بالكامل على التبرعات التي تجنيها من جهات رسمية أو حزبية أو جهة داعمة للمشاريع، وأعلى مبلغ أعطي للمنسقين كان 300 دولار شهرياً، وفكرة أن أحداً لا يأخذ راتباً، لها إيجابيات وسلبيات. الإيجابيات تتعلق بهيكل الحركة غير الهرمي، حيث يشعر المتطوعون أنهم يملكون الحركة وأنهم هم الحركة (فأنتم من تقررون)، ويعطيهم نوعاً من المسؤولية تجاه الحركة والاهتمام بإصلاحها. أيضاً، في حال دفعت الرواتب فإن جهداً كبيراً من العمل سيذهب في تجنيد الأموال. أما السلبيات، فمن دون وجود رواتب، فإن الجميع سيحتاج إلى وظائف أخرى لتأمين راتب، وهذا قد يؤثر على الوقت الذي قد يعطى للعمل في الحركة. في بداية الانتفاضة الثانية، الكل توقف عن حياته اليومية وانخرط في الانتفاضة، ولكن هذه الأيام الكل يسعى وراء قوته[161]. وهذا ما حصل مؤخراً مع جولاني، فبعد

---

[160] دلبح، مقابلة شخصية
[161] جولاني، مقابلة شخصية

حوالي السنتين من مقابلتها، تم التواصل معها يوم 12 تشرين الثاني 2017 عبر الهاتف، لسؤالها حول آخر تطورات الحركة وأين هي الآن –حيث تبين أنها تركت الحركة منذ سنتين تقريباً– وإن بقيت على تواصل معهم؟ فبعد 17 سنة من التطوع في الحركة، اضطرت لمغادرتها بسبب عدم إمكانية التوفيق بين وظيفة عمل والتفرغ للحركة، وأصبح من الصعب الالتزام بتفرغ كامل للحركة دون مردود مادي. وهذا الأثر المباشر لأنه لا يتم دفع معاشات حتى للذين يقيمون في فلسطين. علماً بأنهم حاولوا دفع معاشات في 2006، لكنها كانت تجربة فاشلة جداً وخلقت صراع قوة، وبالتالي لم يستمروا. وباعتقاد نيتا فإنهم يدركون تماماً أن التمويل الخارجي سواء من حكومات أو مؤسسات أجنبية، يترتب عليه تدخل في عمل الحركة وهذا ما يتنافى مع مبادئها ويقيد حرياتها[162].

التحدي السادس الذي يعتبر الأخطر والحديث نوعاً ما، هو الانشقاقات الداخلية التي جرت من قبل أعضاء سابقين في حركة التضامن الدولية، حيث قاموا بتأسيس حركات أو مؤسسات فلسطينية تنشط ضد الاحتلال وتستقطب الأجانب. وحول ذلك، يقول دلبح إن الأجسام الفلسطينية الجديدة ناشطة، وأكثر دعمها يأتي من نشطاء سابقين في حركة التضامن الدولية، إلا أن لمؤسسيها أهدافاً خاصة. كما أن ظهورها أثر على الحركة، حيث أصبح النشطاء يأتون ويتوزعون على أكثر من جسم بالرغم من أن جهودهم تتوحد في الميدان[163]. وأثنى كرم على ما قاله دلبح حول تشتت المجموعات الفلسطينية وأثرها السلبي على الحركة، فبدلاً من أن يأتي الناشط للحركة الأكثر

[162] نيتا جولاني، اتصال هاتفي معها، 12 تشرين الثاني 2017
[163] دلبح، مقابلة شخصية

حاجة، أصبح يفضل اللجوء لمن تربطه معهم علاقة شخصية ومعرفة سابقة أو للمناطق التي أحبها على سبيل المثال. العلاقات الشخصية إيجابية من حيث قدرتها على استقطاب الأشخاص، لكن ليس على حساب القضية الكبرى، وهو ما تسبب بإشكال في التضامن بفلسطين، عندما أصبح المتضامنون يأتون لدعم أشخاص فلسطينيين لا حركات. وهو نفس الشيء الذي دمر المقاومة الشعبية في حالة بعض القرى، فكانت تخرج قرية بأكملها مع مئات النشطاء لهدف واحد ومشترك، ولكن أصبحت هناك عائلات وأشخاص مستفيدة من التضامن الدولي (سفرات متعددة، وكفالات مدفوعة لإخراجهم من السجون، وحملات دولية لإطلاق سراحهم)، مقابل عائلات في نفس القرية كانت غير قادرة على تأمين كفالة طفلهم المعتقل لدى الاحتلال. وهذا جعل أهالي القرية يتراجعون عن المشاركة في الفعاليات، فلماذا يعرضون أنفسهم للخطر أو الاعتداءات الإسرائيلية فيما المستفيد الوحيد أشخاص محددون؟ أو على الأقل هذا هو انطباع المواطنين. لذلك، فالفعاليات أشبه بالمتوقفة في بعض القرى، أو تحولت إلى تظاهرة صورية لا يخرج فيها إلا عدد قليل. وهذا أيضاً أدى إلى انشقاق القرى لمجموعات تستفيد كل واحدة منها من جهة أجنبية مختلفة. وهو ما يمكن ربطه بقضية التمويل الخارجي، حيث أثر بشكل سلبي، خاصة أن كل تمويل مشروط، وهذا على خلاف حركة التضامن الدولية، التي تعتمد على تبرعات أشخاص منها أو من جماعات المناصرة لها في العالم[164].

[164] كرم، مقابلة شخصية

الطرح الذي يلوم تشتت الجهود الفلسطينية، لا يؤيده الناشط عمرو، حيث يقول إن تعدد الجهات الفلسطينية لم يؤثر على التضامن الدولي سلباً، والأصل في الحركات الشعبية أن تكون متناثرة حيث يصعب استهدافها من الاحتلال. ويضيف: "ليست كل الأجسام تعمل للوطن، فهناك من يعمل كعمل تجاري (Business) والشعب الفلسطيني معظمه في سُبات. يجب ألا نجلد المجموعة الصغيرة المكونة من 4–5 مؤسسات تعمل ضد الاستيطان والاحتلال. كل مجموعة اختارت منطقة وتعمل بكامل قدرتها. الحراك والتأثير الكبيران يمكن أن يأتيا بوجود مظلة كمنظمة التحرير أو المجلس الوطني، ولا أحد لديه برنامج على الأرض باستثناء بعض الحركات. حاولنا أكثر من مرة أن نعمل حراكاً أكبر لكننا واجهنا صعوبات، منها تدخل الأمن الفلسطيني مباشرة، حيث لا يريد أن تتعزز وتكبر هذه الأجسام الصغيرة. التضامن العالمي جيد، والذي يؤثر عليه سلباً غياب منظمة التحرير كحاضنة للفعاليات حول العالم وتوجيهها بشكل مؤثر ضد الاحتلال. لا توجد مؤسسة فلسطينية جامعة لتوجه هذه الفعاليات"[165].

التحدي السابع والمهم جداً، ظهر لاحقاً على لسان النشطاء الذين بقوا بعد مرحلة عرّاف وأنضوني تحديداً، وهي المرحلة التي أصبحت فيها الحركة تحت تساؤلات عن جدوى مبادئ أساسية تم تبنيها عندما تأسست الحركة وأصبحت موضع اختبار في المرحلة اللاحقة. أحد هذه التساؤلات هو غياب الهيكلية الواضحة للحركة، التي رأى نشطاء فيها سبباً لمشاكل الحركة الحالية،

[165] عمرو، مقابلة عبر سكايب

كما أكد الناشط عيسى عمرو[166]. وهو الشيء الذي وقفت عليه نيتا جولاني بعد 17 سنة من العمل في الحركة، حيث قالت إن لكل شيء وجهين، واحداً إيجابيّاً وآخر سلبيّاً. فمع أن الحركة استفادت بسبب عدم هرمية الحركة، لكن فعلياً ليس لها عمود فقري لتبني الحركة عليه، وذلك مرده الأساسي وجود نشطاء جدد كل فترة. وفي نفس الوقت تقول إن الحركة لا تتعلق بأشخاص، ويمكن وصف الحركة بالجهاز الذي يمكن أن يستخدمه الناس طالما حافظوا على مبادئ وفلسفة الحركة، خاصة أن الحركة لا تتخذ أي قرار إلا بالإجماع[167].

أما التساؤل الثاني، فكان حول مبدأ التوافق الجماعي، يقول كرم إن هذا المبدأ كان غير منطقي. فكيف يمكن لشخص قدم إلى فلسطين قبل يومين أن يقرر في قضية ما مقابل أشخاص كانوا يعملون في الحركة منذ أكثر من 15 سنة ولديهم معرفة وعلم أكثر بالحالة الفلسطينية، غير نقطة القوة وهي أنهم فلسطينيون، وبالتالي لا يوجد تكافؤ في صنع القرار. وهو بالنتيجة يفضي إلى أنه توجد هرمية مخفية داخل الحركة، وحالة استقطاب وحتى لو بشكل بسيط؛ فبحكم أن شخصاً ما يعمل مع الحركة منذ أكثر من 6 سنوات ولديه معلومات وتاريخ الحركة، بالتالي لديه قوة أكبر في أخذ القرارات. وفعلياً، لن يحجب متطوع أجنبي جاء إلى فلسطين قبل شهرين قرار أحد مؤسسي الحركة أو أحد النشطاء الفلسطينيين الذين يعملون في الحركة منذ عشرات السنين. ويضيف كرم: "عدم وجود ذاكرة مكتوبة للمؤسسة ركز القوة في أشخاص محددين داخل الحركة،

---

[166] المصدر السابق
[167] جولاني، مقابلة هاتفية

لديهم كل ذاكرة الحركة وتاريخها ومعلوماتها. هذه مشكلة بالنسبة لي، حيث أصبح أشخاص محددون لديهم قوة كبيرة يستغلونها، وأنا كشخص مثلهم، يصبح الشخص يود الحفاظ على مكانه ومن السهل أن يقع الشخص في فخ السلطة. وفعلياً، إذا كنا مؤمنين بأي شيء نستطيع تمريره في الاجتماعات الرئيسية، حتى مع وجود 20 متطوعاً أجنبياً. هناك سلطة مخفية والعديد من النشطاء كانوا يلاحظون ذلك بعد فترة"[168].

أما التحدي الثامن، فيكاد يكون أصعب التحديات التي واجهت الحركة وأثرت عليها حتى الآن، خاصة مع فرض قيود مشددة على المتضامنين أو من يشتبه أنه متضامن، ألا وهو الاحتلال. وللاحتلال عدة أوجه في آلية تعاملهم مع المتضامنين، وعلى رأسها الإبعاد والتسفير أو منعهم من الدخول إلى فلسطين، وقد أثرت القيود الإسرائيلية كثيراً على مجيء المتطوعين، فخلال السنوات الأولى من الانتفاضة، كانت أعداد كبيرة من الدوليين تأتي إلى فلسطين وليست جميعها مع حركة التضامن الدولية إنما مع حركات أخرى. ووفقاً لنيتا فإن الآلاف منعوا من الوصول إلى فلسطين بسبب الإجراءات الإسرائيلية. حتى أن أعداد المتواجدين الآن نقصت كثيراً عما كانت عليه في السابق[169].

وأسوأ ما واجهته الحركة هو مقتل ناشطين من نشطائها في أقل من سنة خلال نشاطهما مع الحركة، وهما راشيل كوري وتوم هرندل، حيث كانت تريد كسر الحاجز بقتلهما لتوجيه رسالة

---

[168] كرم، مقابلة شخصية، فلسطين

[169] جولاني، مقابلة شخصية

شديدة لهم وإخافتهم[170]. وكان الجيش الإسرائيلي أصدر عدة بيانات وتصريحات حول نشطاء الحركة، وأحد هذه التصريحات كان حديثاً لموشيه يعلون حيث كان وزير الدفاع الإسرائيلي آنذاك، عندما قال إن الحركة بمجيئها إلى فلسطين فقد تبنت الرواية الفلسطينية، وهي خاطئة. فالانتفاضة توجه تبناه الفلسطينيون لشن اعتداء إرهابي علينا. الناشطة الأمريكية عندما قتلت لم تكن أمام مرمى نظر سائق الجرافة، وهذا مؤسف، وكانت تتواجد في منطقة تجري فيها عمليات ضد إرهابيين. أما الناشط البريطاني فأصيب في رأسه عندما أطلق أحد الجنود باتجاه إرهابي كان يطلق النهار باتجاههم. لقد أعطيت أوامري بإزالة كل نشطاء الحركة أولاً لصالحهم، وثانياً لأنهم يعرقلون عملنا[171]. كما أن وزارة الخارجية الإسرائيلية نشرت أكثر من مرة معلومات مغلوطة حول الحركة، اتهمتها بعدة اتهامات كان أبرزها أنها تعمل تحت رعاية منظمات فلسطينية إرهابية وأنها كانت على اتصال مع بريطانيين فجرا أنفسهما في تل أبيب، وهو ما نفته الحركة أكثر من مرة وأثبتته في الوقائع. كما أن الاحتلال عمد إلى تشويه صورة النضال الفلسطيني، وزرع الفتنة بين الدوليين والفلسطينيين، فوفقاً لعبد الله أبو رحمة، نشر الاحتلال إشاعات كاذبة ومسيئة عن دور الدوليين أو علاقتنا بهم. وأهمها أن هؤلاء الدوليين أغنياء وقوى اللجان الشعبية تستغل الدوليين لجني المال وتجييرهم لصالحهم الشخصي، علما بأن معظم الدوليين الذين يأتون هنا ليسوا أغنياء أبداً ويأتون بميزانية قليلة. الإشاعة الثانية كانت أن الدوليين "متحررون" أو "لا أخلاقيون"، ومنهم

---

[170] عراف. مقابلة شخصية

[171] Moshe Yaalon, Open Line with The Chief of Staff, in, **Peace Under Fire,** (London: Verso 2004), p.261-250

من يحمل مرض نقص المناعة، حيث العلاقات الجنسية مفتوحة وسهلة بالنسبة لهم. وهذا كان خطيراً، خاصة أن نشاطنا يتركز في القرى التي تتسم بالتديّن والمحافظة، ومثل هذه الإشاعات لها صدى واسع. ويضيف أنه وبعد كل إشاعة كانوا يشعرون أنهم على طريق الانحدار، ولكن الاستمرار بالضغط على الاحتلال ومع كل إنجاز جديد كانوا يحققونه كانوا يتغلبون على الإشاعات. وحقيقة لم تسجل أي حالة لنقل مرض الإيدز[172]. ويقول أنضوني إن ما أثار الجيش هو تميز الحركة بأنها حركة مبادرة وتخرج بمبادرات وحملات غريبة وكانت تنفذها وتفاجئ الجيش الإسرائيلي، وهذا الذي جعل إسرائيل بالنهاية وجيشها وسياسييها يقتربون من إصدار قرار في الكنيست لسجن كل أعضاء الحركة على اعتبار الحركة خارجة على القانون. وبعد تلك الفترة، بدأ الجيش بالضغط باتجاه إخراج الحركة من المعركة، والسبب الواضح أن معظم عملها كان عرقلة لعمل الجيش أثناء القيام بمهامهم، وفي معظم الأيام كانت هذه العرقلة ناجحة، وهذه مسألة خطرة جداً. ويبدو أن هناك أوامر صريحة للجيش بإطلاق النار ليجرحوا ويقتلوا النشطاء، وهو ما حصل فعلاً، فقتلوا راشيل كوري ومن ثم توم هرندل ومن ثم أصابوا متضامناً في جنين برصاصة في الوجه وشوهوا وجهه، وأصابوا ما لا يقل عن 300–400 متضامن، ومن ثم بدأوا حملة اعتقالات للمتضامنين وترحيلهم ومنع تأشيرات الدخول والتشديد على المعابر والمطارات. وكانت هناك حملة أخافت بعض الناس الذين كانوا يأتون إلى فلسطين بسبب قناعاتهم، ولكن استعدادهم للتضحية

[172] أبو رحمة، مقابلة شخصية

محدود، ولذلك أصبح قطاع الشباب أكثر ما يأتي لفلسطين[173]. ويضيف عيسى أن الاحتلال رحّل كل النشطاء الأجانب الجديين في الحركة والقيادات القوية، ولم يعد هناك أجانب مستعدون لدفع ثمن باهظ كالترحيل والاعتقال مثلما كان في الانتفاضة الثانية[174].

كما أن الحركة واجهت تحديات أخرى أقل تأثيراً من الذي ذكر، لكن لا يجب إغفالها، وأهمها التغيرات التي طرأت على المنطقة العربية وتحديداً الحرب على العراق التي تزامنت مع الانتفاضة الثانية، حيث تحول اهتمام بعض الدوليين أكثر للعراق، وتراجعت أعداد الذين يأتون إلى فلسطين[175]. مقابل الاهتمام بما يجري في سوريا، حيث توجه الدوليون لمخيمات النزوح واللاجئين مقابل الذهاب إلى فلسطين، خاصة في ظل الهدوء النسبي الآن في المنطقة. وعلى سبيل المثال، كانت الناشطة هويدا عرّاف قد اعتقلت في البحرين في شباط 2012 من قبل السلطات البحرينية، أثناء تصويرها للتظاهرات المناوئة للنظام الحاكم، حيث تم إطلاق سراحها لاحقاً وترحيلها[176]. وقالت سيلفيا إن هناك مشكلة كبيرة يواجهها النشطاء الأجانب، وهي الإنهاك. حيث يأتي النشطاء هنا لمدة 6 أشهر يعملون دون توقف في الحركة لحد الإنهاك، وعندما يعودون لبلادهم يكونون قد استنفدوا ولا يودون العودة. وهذا ما حصل معها في المرة الأولى التي جاءت بها. وتعتقد أن

---

[173] أنضوني، مقابلة شخصية

[174] عمرو، مقابلة شخصية

[175] عراف، مقابلة شخصية

[176] "الناشطة هويدا عراف: قوة الشعب البحريني سوف تقود إلى التغيير"، عن صدى الوطن جريدة العرب في أمريكا الشمالية، 2012/2/20، واسترجعت بتاريخ 2018/3/5 من http://bit.ly/2CZ0Kgj

السبب الرئيسي في ذلك عدم وجود تنظيم جيد يعطي استراحة للنشطاء، فليس طبيعياً أن تعمل 6 أشهر دون يوم عطلة. لكنهم على كل الأحوال يشجعون بعضهم دائماً[177].

4-2 التقييم العام

إن تقييم الحركة يمكن أن يستند لتقييمات عدة، كبنيوي أو مبدئي أو عقائدي أو أي تصنيف آخر، لكن حركة كحركة التضامن الدولة بدأت كحملات غير منظمة ومن ثم تنظمت دون إطار تنظيمي واضح وتراجعت طبيعياً مع المعطيات التي تطورت خلالها دون إشكاليات حقيقية أو خلافات علنية، من الأسهل تقييمها إيجاباً وسلباً بشكل عام دون تفصيلات. علما بأنه لا يوجد وسائل قياس محددة للتقييم العام، سوى ما يقوله القائمون على الحركة أنفسهم، وبالتالي يعتمد هذا التقييم بالدرجة الأولى على منهم في الحركة وعلى تحليل الباحثة لما ورد في الدارسة مع الأخذ بعين الاعتبار الإطار النظري للدراسة.

وبداية، من الواضح أن أحد إخفاقات الحركة التي أدى لتراجعها، هو تعيين ممثلين لها في القرى الفلسطينية، خاصة عندما بدأ العمل على جدار الفصل العنصري وانتقال عمل الحركة للقرى أكثر من المدن. يقول أنضوني إنه عندما خف الضغط الإسرائيلي على المدن الفلسطينية وانتقلت الأنظار للقرى التي تضررت من الجدار، قُدم للحركة في اجتماع كبير اقتراح بنقل مراكز الحركة إلى القرى مثل جيوس لنكون جاهزين لمواجهة الجدار. لكن الجماعات المحلية في نابلس

---

[177] هارالدسون، مقابلة شخصية

وجنين وفي مدن أخرى قاومت هذا الاقتراح بشدة، على اعتبار أنها لا تريد خسارة الموقع والمكانة التي اكتسبتها بسبب نشاطها في الحركة ووجود الأجانب معها، الأمر الذي خلق صراعاً عنيفاً، وكانت له علاقة بتوجه استراتيجي، حيث كان يعتقد أن هذا هو الوقت الصحيح لأن ننطلق. ولكن الصراع تضمن عدة أوجه كقضية المدينة والقرية، ونظرة ابن المدينة لابن القرية، خاصة أن التصور كان أن المركز يبقى في المدينة ونرسل المجموعات إلى القرى عند الحاجة. كما واجهنا مشكلة الارتباط العاطفي، فمثلاً بعض الأجانب تعودوا على مخيم بلاطة ورفضوا تغيير منطقة نشاطهم. عند هذه النقطة بدأ أنضوني يشعر أن الحركة دخلت في أزمة، فلم تعد تمتلك المرونة الكافية ولا القراءة الواعية لأن تكون أكثر تأثيراً، معتبراً أن أول فشل واجهته الحركة هو مقاومة الجدار، فصحيح أن الحركة قاومت الجدار لكن ليس بكفاءة تمكن من أن تخلق أزمة كبيرة للجدار، مشدداً على أن تصوره منذ البداية كان أن الحركة لها وقت ولها نقطة قمة قبل أن تعاود الهبوط، ليس لنقطة الصفر، لكن لكي تبقى في القمة، وليس من الممكن أن تكون دائمة خاصة الحركة في فلسطين، ولكن ليس بالضرورة أن ينطبق ذلك على أذرعها العالمية. وتداركاً لذلك ومع انخفاض عدد المتضامنين، اجتمعت الحركة مرة أخرى واقترح أنضوني أنه يجب ألا يكون في هذه المرحلة "جيش ISM" للحرب، إنما يجب أن يكون فريق دعم للناس المحاربين. فمثلاً إذا كان يوجد من يقاوم في بلعين، فعليهم مدهم بالناس وخبرتهم، وهو ما حصل حيث تحولت الحركة بعد فترة إلى ذراع مساند أكثر. وفي عام 2006، قرر أنضوني ترك كل مواقعه القيادية في الحركة، مقتنعاً أن الحركة أجرت تحولها وأصبحت أقل فائدة، ولكن من الجيد أن تكون موجودة، لكنها لم

تعد تحتاج الجهد والتعب اللذين كانا يبذلان في البداية. فأول ثلاث سنوات في الانتفاضة كان نشاط الحركة هائلاً، وبعدها بدأ النشاط يخف تدريجياً، وبعد 2006، شعر أن الحركة يمكن أن تكون فريق دعم للأشخاص الذين يعملون في الميادين. كما أن تركيبة الحركة المتنوعة، إلى جانب الظروف التي عملت بها من ناحية أن فلسطين منطقة حرب، ومن ناحية التقبل المجتمعي لها، لما كان للحركة أن تستمر بإنجازاتها الكبيرة. وهذا طبيعي، ومن كان يعتقد عكس ذلك فهو واهم حسب قوله. وبعد تلك الفترة لم يعد متابعاً للأنشطة كما كان، حيث بقي على تواصل مع الأصدقاء من فترة إلى أخرى. إلا أن اتصالاته لم تنقطع بامتداد الحركة في العالم، حيث أصبح لها ما لا يقل عن 120–130 نافذة بـ70 دولة، والحركة موجودة حتى اليوم وهي من أهم أركان حركة المقاطعة في الخارج. فالناس الذين روجوا للمقاطعة أكثرهم من المتضامنين الذين كانوا هنا وعادوا إلى بلادهم. وهذا ما يضاف إلى رصيد الحركة، حيث تكون القاعدة الشعبية لحركة المقاطعة وسحب الاستثمارات في الخارج أحد أهم أسبابها هو نشاط حركة التضامن الدولية، والشيء نفسه ينطبق على كل السفن التي وصلت القطاع حيث المبادرة كانت من نشطاء الحركة. كما كان للحركة أثر كبير في التغيرات التي جرت وتجري على الرأي العام في الولايات المتحدة وأوروبا، حيث أحد أهم أسبابه هو آلاف النشطاء الذين وصلوا هنا، وعندما الحديث عن آلاف فالحديث عن انتشار واسع في الجامعات والكنائس والمراكز المجتمعية، ولكل ناشط دائرة حوله وبالتالي نتحدث عن انتشار واسع. وتقييم أنضوني الأخير كان أن الحركة لعبت دوراً كبيراً في الانتفاضة الثانية، وكان من الممكن أن تفعل أكثر من ذلك، ولعبت دوراً في تطوير المناصرة

للشعب الفلسطيني في الخارج. وقدمت ضحايا وجرحى ومعتقلين ومرحّلين، وأثرها الآن أقوى وأوضح في الخارج[178].

من الواضح أن أثر الحركة في الخارج هو ما يميزها الآن، وما كان هذا الأثر ليقوم لولا ما أنجزته خلال عملها في فلسطين، خاصة في السنوات الثلاث الأولى من الانتفاضة. ويقول قمصية إن الأغلبية الساحقة من الأجانب الذين جاءوا لفلسطين عملوا كسفراء لفلسطين في بلادهم، ويعملون لحد الآن في دعم الفلسطينيين. كما أن تجربته في الولايات المتحدة خلال الانتفاضة الثانية بينت له الأثر الذي أحدثته الحركة في الخارج، حيث شارك بتنفيذ نشاط اسمه Wheels of Justice Bus Tour[179]، ضد الاحتلال في فلسطين والحرب على العراق، وعبروا فيه من 2003 إلى 2008، ومررنا بكل الولايات. وكان جزء من المتحدثين من نشطاء الحركة أو فلسطينيين لديهم خبرة ميدانية في فلسطين، ومن بينهم ناشط اسمه براين ايفري، أصابه جيش الاحتلال برصاصة في وجهه متسبباً بتشوهه. وفي كل مرة كان يروي تجربته، كان يترك أثراً غير طبيعي.

---

[178] أنضوني، مقابلة شخصية

[179] Wheels of Justice Bus Tour: مبادرة من قبل نشطاء أمريكيين جاءوا لدعم الفلسطينيين ومن ثم عادوا إلى موطنهم ليشاركوا ما شاهدوه على أرض الواقع. وفي الفترة ما بين 2003 و2008، تحدث المشاركون في أكثر من 3000 منصة في 48 ولاية أمريكية، بما في ذلك في الجامعات والمدارس والكليات. وأثر هذه المبادرة كان كبيراً في الوصول إلى الشعب الأمريكي ولبناء مساندة الحركات المحلية المعنية بحقوق الإنسان في فلسطين. للمزيد: https://www.deiryassin.org/wheels.html

كما أن النشطاء الذين كتبوا مذكراتهم وكتبهم وقصة كوري التي أصبحت مسرحية[180]، كلها تؤثر على الشعوب والحكومات، حتى إن لم يصلوا حتى الآن إلى مرحلة الضغط على الحكومات، لكن يجب أن يصلوا هذه المرحلة يوماً ما. ويقول قمصية إن الرأي العام في أوروبا انقلب ضد إسرائيل؛ ففي الخمسينيات والستينيات، كانت إسرائيل تستقدم الأوروبيين لمساعدتها والعمل فيما يسمى الكيبوتسات. الآن، لا أحد يأتي. وهذا التغير الجذري في الرأي الأوروبي يعود لسببين رئيسيين: الأول هو الفلسطينيون الذين في المهجر، والثاني النشطاء الذين جاءوا هنا ورأوا كل شيء بأنفسهم[181].

مثال آخر للأثر الذي يمكن أن يحدثه انضمام الشباب الأجنبي إلى الحركة، هو تجربة الناشطة الآيسلندية سيلفيا هارالدسون[182]، التي جاءت لفلسطين ثلاث مرات حتى 2017 بعدما أحبتها حسب قولها. وتضيف:

---

[180] مسرحية "أنا راشيل كوري"، بدأ عرضها منذ عام 2006 وحتى سنة 2018 لا تزال تعرض حول العالم وبعدة لغات، بعد ضغوطات من اللوبي الصهيوني أدت لتأجيل عرضها منذ عام 2003. وجاءت فكرة المسرحية بعدما نشر والدا كوري مذكراتها ورسائلها الإلكترونية حتى يتعرف الناس على ابنتهما وما شاهدته في فلسطين كناشطة في حركة التضامن الدولية. وفي حينه تواصلت صحيفة الجارديان البريطانية مع والديها وطلبوا نشر المذكرات أيضاً، لأنها وعلى حد تعبيرهم "أنسنت" سكان قطاع غزة بشكل لا مثيل له. وبعدها قام المخرج الراحل آلان ريكمان بتحويل النصوص إلى مسرحية فيها ممثلة واحدة هي كاثرن فينر، التي كانت تمثل كوري. للمزيد: http://bit.ly/2pCe0kr وجدير بالذكر أن مذكرات كوري تحولت أيضاً إلى كتب واقتباسات.

[181] قمصية، مقابلة شخصية

[182] سيلفيا هارالدسون: تبلغ من العمر 25 سنة، وانتهت من دراسة البكالوريوس سنة 2017 وحالياً متفرغة وتستعد لدراسة الماجستير في خريف 2018، وهي عضو في الهيئة الادارية لجمعية آيسلندا- فلسطين، وفاعلة جداً في التضامن مع الفلسطينيين، خاصة أن الجالية الفلسطينية في آيسلندا نشيطة بالفعاليات التضامنية. علما بأن آيسلندا من الدول الداعمة لفلسطين وكانت من أوائل الدول التي اعترفت بدولة فلسطين، كما أنها ترسل الكثير من المتضامنين الآيسلنديين، حيث مؤخراً كان هناك 8 نشطاء خلال فترة قطف الزيتون من العام 2017. علما بأنها المرة الثالثة لسيلفيا هنا، حيث جاءت في الأعوام 2013 و2014 و2017. في المرة الأولى جاءت عبر الـIWPS "مجموعة النساء الدولية للسلام" وفي المرتين التاليتين جاءت من خلال حركة التضامن الدولية، فيما كانت تمكث عندما أجريت معها مقابلة لغرض هذه الدراسة بتاريخ 13 تشرين الثاني 2017، مع مجموعة الحركة في نابلس وتدرس اللغة العربية. أما السبب الذي جاء بها إلى فلسطين أول مرة، فهو فصل دراسي أخذته حول صراعات العالم والجزء الأكبر كان يتحدث عن الصراع الفلسطيني- الإسرائيلي، ومع أنها اعتقدت في الأول أن الفصل كان موضوعياً نوعاً ما، إلا أنها في أول زيارة لها اكتشفت أن المنحى كان صهيونياً جداً. وهذا ما جاء بها إلى فلسطين، حيث أرادت أن تعرف ما الذي يجري هناك. وكان عمرها

من المهم أن يدرك النشطاء الأجانب أهمية نشاطهم بعد عودتهم من فلسطين، حيث يحملون الصور والقصص التي يجب أن تنقل للخارج. ومن المهم أيضاً فهم الدوافع التي أتت بالنشطاء إلى هنا؛ هل هي شخصية؟ أم جاءوا لينقذوا الفلسطينيين؟ فالمشكلة في العديد من الدوليين أنهم يأتون هنا لتعليم الفلسطينيين كيف يقاومون، وحقيقة أن هذا ليس عملنا. في كل مرة يعود أحد النشطاء إلى بلده ويعقد جلسات حوارية أو ينشر مادة مكتوبة عن تجربته في فلسطين. على الصعيد الشخصي، أصبحت تتحدث بشكل أفضل أمام الناس، لأنني أحمل ما وثقته هنا. في إحدى المرات، كنت في ورشة حوارية كبيرة في نُزل، وقبل نهاية حديثي وخلال عرض توثيق لاعتداءات المستوطنين على أطفال فلسطينيين في الخليل وثقتها بنفسي، دخلت إحدى المقيمات في النُزل وقالت أنا من إسرائيل وأنتم لا تعلمون ماذا حصل في التوثيق قبل ذلك، فهؤلاء الأطفال كانوا يلقون حجارة. فقلت لها أنا التي صورت هذا المقطع وما جرى فعلاً هو أن الأطفال كانوا يلعبون كرة قدم وجاء مستوطنون واعتدوا عليهم[183].

في حينه 20 سنة فقط سنة 2013، وأول منطقة عملت فيها كان مخيم عسكر في نابلس ومن ثم في قرية دير استيا قضاء محافظة جنين.

وتقول سيلفيا إنها كانت تعتقد أنها لن تفهم تماماً ماذا يجري على الأرض لأنها آيسلندية ولم تعش هنا، ولكن في أول زيارة لها أدركت حقيقة الوضع، حتى أنّ والدها جاء لزيارتها ومع أنه كان يدعم فلسطين، لكن لديه بعض التساؤلات حول حقيقة الوضع، إلا أنه حالما وصل ومنذ رؤيته لجدار الفصل العنصري، فهم جداً الوضع السياسي القائم. وتضيف أنه عندما ترى حقيقة الأشياء تصبح حقيقة، وبعدها لن تقلق بأية تساؤلات.

[183]سيلفيا هارالدسون، مقابلة شخصية، 13 تشرين الثاني 2017

وأثناء إعداد هذه الأطروحة، تعكف سيلفيا على كتاب كتيب تعليمات للسياحة حول فلسطين بعدما أصبح هناك خط طيران مباشر من آيسلندا إلى إسرائيل، والترويج لهذا الخط صبغته صهيونية وقد صدمها ذلك. وكل الدعاية حول أن إسرائيل مكان جذب سياحي مهم وعن شواطئ إسرائيل. فأرادت كتابة كتيب حول فلسطين وأهم الأماكن السياحية فيها، وستبعث بها لشركة الطيران المشغلة للخط الجديد، وستضعه على موقع الجمعية أيضاً. "وحتى لو لم تقرأ الناس، فأقله وجود قاعدة بيانية يمكن الرجوع إليها"، لاعتقادها أن السياحة مهمة للفلسطينيين، "لأنها جزء من التكتيك الإسرائيلي بإبعاد فلسطين عن العقول، فحتى لو لم تأتِ كناشط، يمكن أن تأتي كسائح وتساهم في الاقتصاد الفلسطيني، كأن تأتي إلى بيت لحم وتقيم فيها. إلى جانب ذلك، قالت الناشطة إنها ستعقد المزيد من الحوارات في بلدها"[184].

ولا بد من التنويه هنا إلى أن هناك اتفاقاً، بأن الإنجازات التي حققها النشطاء الدوليون في فلسطين والخارج ليست محصورة بنشطاء حركة التضامن الدولية. وحسب قمصية فإن عدد نشطاء الحركة لا يتجاوز 2–3% من مجموع النشطاء الذين يأتون هنا، من خلال الكنائس أو السياحة البديلة أو مركز تقارب وغيرها[185]. وبغض النظر عن دقة النسبة، فإنّ ما تميزت به هذه الحركة، ربما كونها شبكة ممتدة ومتفرعة، وفيها حد أدنى من التنظيم.

---

[184] هارالدسون، مقابلة شخصية

[185] قمصية، مقابلة شخصية

تقييم آخر من خارج الحركة، طرحه جمال جمعة، معتقداً أن حركة التضامن الدولية لم تكن لديها استراتيجية واضحة على المستويين؛ الداخلي، فيما يتعلق بماذا يريدون هنا؟ وما الذي يريدون تحقيقه؟ وما هو دورهم؟ وكيف هي طريقة عملهم؟ وعلى المستوى الدولي، يعتقد أن لديهم مشكلة فيما يتعلق بالمتابعة، بمعنى أنه وصل آلاف المتضامنين هنا خلال الـ15 سنة السابقة؛ ولو كانت هناك خطة تواصل وتدقيق فيمن يأتي ومن يعود إلى بلاده، لشكلت حركة كبيرة في الخارج تكون رافداً لحركات التضامن على مستوى العالم. ومع ذلك، فمما لا شك فيه أن قضية الوعي في الجدار على مستوى العالم، كان لهم دور كبير فيها، فكل واحد منهم كان يأتي ومعه كاميراته، وكان يشكل وعياً في محيطه. كما يعتقد جمعة أن الحركة وخلال عملية بنائها ومراكمة إنجازاتها لم تأخذ بعين الحسبان قضية منع إسرائيل دخول النشطاء، إلى جانب أنها لم تغير من استراتيجيتها مع تغير الظروف؛ فمثلاً اليوم يلزم وجود الحركة ولكن ليس بالأعداد السابقة، حيث الاستمرارية مهمة لمراقبة الانتهاكات الإسرائيلية وتوثيقها، ورفد الحركات الدولية بما يجري هنا وتعزيز العلاقة مع الحركات الشعبية الفلسطينية. ومثال آخر على مستوى ما سماها جمعة، الانتفاضة الثالثة التي بدأت في تشرين الأول من عام 2015، كان من المفيد لو كان هناك حراك تضامني دولي مكثف، لأن هناك عملية شيطنة للانتفاضة وربطها بالإرهاب، وكان من المهم جداً العمل على ذلك ليس فلسطينياً، إنما على مستوى دولي بحيث يأتي المتضامنون لينقلوا حقيقة ما يجري هنا. بيت القصيد ليس إنهاء ظاهرة الحركة، إنما وجوب تغيّر وظائفها مع تغير الظروف،

لأن الفلسطينيين بحاجة لمن يعمل على التوثيق وإصدار التقارير، وتعزيز العلاقات الدولية. وهذا يشكل رافداً مهماً لموضوع المقاطعة[186].

تقول الباحثة Dudouet، إنه

> بسبب النظام الفضفاض لاستقبال المتطوعين من دون فحص لخلفياتهم، فإن العلاقات الأيديولوجية بينهم ضعيفة. فبعضهم يسعون للاعنف كأسلوب حياة، وآخرون جاءوا للتضامن مع الفلسطينيين ورفضاً للاحتلال، فيما هناك يهود وحتى جماعات صهيونية تخجل من السياسة الإسرائيلية. كما أن هناك مجموعات للسلام والعدالة من الكنائس يدّعون أنهم جاءوا هنا لتحقيق السلام، وفوضويون أو أتباع ضد العولمة والرأسمالية.

كما أن معظم البرامج التدريبية تستمر في نهاية عطلة الأسبوع، ولا يوجد وقت كافٍ للتعمق في المبادئ واستراتيجيات ومعضلات المقاومة غير العنفية أو التدخل من قبل طرف ثالث. فيما كانت أكثر النقاشات تحدياً فيما يتعلق بقواعد الاشتباك اللاعنفية المتعلقة بحركة التضامن الدولية، هي حول إلقاء الفلسطينيين الحجارة. رسمياً، الحركة تمنع متطوعيها من المشاركة في عنف رمزي، أو أن يقفوا كدروع بشرية لأحد يلقي حجارة. ومع ذلك، يسمح لهم

---

[186] جمعة، مقابلة شخصية

بالبقاء في حالات تطورت إلى إلقاء حجارة ضد جيش مسلح ومدرع، من منطلق أن التواجد الأجنبي سيساعد بأن يكون الرد الإسرائيلي أقل. ومع ذلك، عندما تحصل مثل هذه المواقف، عادة ما تنقسم الحركة حول الاستجابة المناسبة.

وتجادل في نقطة أخرى خلال تقييمها للحركة، بأن قرار جعل الحركة مشتركة بين الفلسطينيين ودوليين تحت قيادة فلسطينية، تترتب عليه آثار متعددة. فيما يتعلق بصناعة القرار، فإن الحركة اللامركزية للغاية تعتمد على مجموعات في كل منطقة تواجد، ويتم تنسيقها من قبل خليط من المتطوعين المحليين والدوليين، يتم اختيارهم وتدريبهم من قبل المتطوعين الرئيسيين. إضافة إلى ذلك، ولضمان أن حركة التضامن الدولية لا تتنافس أو تحل مكان المبادرات المحلية، فكل الفعاليات تنظم بالتشارك مع المنظمات غير الحكومية للمجتمع المدني أو الأحزاب السياسية. كما أن الحركة منفتحة أمام التعاون مع كل منظمة محلية تلتزم بمبادئ اللاعنف. ومن أجل أن تحافظ على هذا الخط الشامل في عملها، رفضت الحركة أي عروض دعم مادي من السلطة الفلسطينية أو أية أحزاب سياسية أخرى.

وتشرح Dudouet أن دينامية العلاقات بين الفلسطينيين والدوليين في صيف 2003، أنه بدلاً من مساعدة النشطاء اللاعنفيين، عادة ما كانت حركة التضامن الدولية تسيطر على التخطيط للفعاليات دون انتظار المبادرات الفلسطينية العفوية. كما أن توقيت النشاطات يشير إلى وجود تبعية نسبية للأجانب، حيث إن التظاهرات المخطط لها كانت تصل ذروتها عند حلول عيد

الميلاد المجيد والعطل الصيفية، ففي هذه الفترات معظم المتطوعين الأجانب يمكن لهم السفر إلى فلسطين.

وفي مقابلة لأنضوني، كانت الباحثة Dudouet قد أجرتها معه عام 2003، يقول فيها:

> عندما يبدأ الفلسطينيون المشاركة بأعداد كبيرة، حينها يمكن لهم أن يأخذوا الملكية الحقيقية لحركة التضامن الدولية، ولكن في الوقت الحاضر، لا تزال حركة مشتركة. وعندما نتحدث عن عمل دولي– فلسطيني مشترك، يميل الأجانب دائماً لأخذ زمام المبادرة. ومن الضروري لحركة التضامن الدولية أن تدعم الفعاليات المحلية بدلاً من المبادرة لها، لأن النشطاء الدوليين يذهبون ويأتون، لكن السكان الأصليين هم من يعيشون تحت عواقب المبادرات، خاصة أنهم سيعانون من انتقام الجيش الإسرائيلي[187].

خلال السنوات الخمس اللاحقة، كانت هناك دلائل على أن الفلسطينيين قادوا عدة حملات غير عنيفة ضد الجدار[188].

---

[187] أنضوني، مقابلة شخصية

[188] Veronique Dudouet, *Cross Boarder Nonviolent Advocacy during the Second Palestinian Intifada: The International Solidarity Movement*, in, People Power; unarmed resistance and global solidarity, edited by Howard Clark, (London: Pluto Press 2009), P.130

الناشط كرم يرى أن الحركة منذ 15 سنة لا تتحرك، بل أصبحت مرتبطة بوجود أو عدم وجود نشطاء أجانب يومياً، وهو يميل أكثر باتجاه تنظيم الحركة؛ ففي أيام يكون هناك 15 متطوعاً ثم يصبحون اثنين ويتحملان مسؤوليات كبيرة، ومن ثم يسافر هؤلاء النشطاء ويأتي نشطاء جدد لا يستلمون ذاكرة الحركة إن صحت التسمية. والحركة حالياً تقف مكان وقوفها قبل 8–9 سنوات، ولم تتطور ولم تطور أشخاصها الذين لا يزالون يفكرون بنفس تفكير عشرين سنة سابقة. صحيح أنه يوجد جيل جديد ونشطاء شبان يأتون ويذهبون، لكن الرؤية فعلياً تتحدد من نفس العقلية، ورؤيتهم أصبحت لا تتفق مع الجيل الجديد.

ويمكن الجزم بأن الحركة لم تنتهِ، لكنها ليس حاضرة على أرض الواقع بالشكل الذي يجب أن تكون به، فالحركة لم تمت بعد، لكنها تعيش على تنفس اصطناعي.

لا شك في أن الحركة أثرت بشكل كبير في السابق واستطاعت نقل القضية للخارج، ولكن مشكلة كرم مع الحركة أنها لم تتطور إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الموارد التي هُدرت أو الموجودة ولم تستعمل، وهي موارد كبيرة جداً. فعلياً، الحركة موجودة منذ أكثر من 15 سنة، وحينما ننظر إلى حركة مثل حركة المقاطعة الدولية (BDS)، فالحركة كان يجب أن تكون عشرة أضعاف حركة المقاطعة الموجودة اليوم، إذا ما نظرنا إلى أعداد النشطاء الذين انخرطوا في ISM واحتماليات استغلال كل من عاد إلى بلاده من أجل تنظيم الفعاليات ورصد الأموال. هذه طاقة بشرية هائلة وموارد لم تستغل، لعدم وجود تنظيم.

يمكن تنظيم الحركة من خلال إيجاد أشخاص قادرين على الحفاظ على ذاكرة الحركة للجميع، بحيث يكون هؤلاء الأشخاص دون سلطة، إنما موظفون يمكن أن تستبعدهم المجموعة في أي وقت. وبدلاً من تعيين منسق إعلامي جديد كلما جاءت مجموعة جديدة ومن ثم استبداله، فمن الأفضل أن يكون هناك منسق إعلامي دائم يأتي النشطاء لدعمه فيما لديهم من خبرة. ويمكن توفير مقابل مادي له لقاء عمله. ويصر كرم على أهمية عدم التحول إلى منظمة غير حكومية، إنما أن تبقى الحركة تستمد أموالها من النشطاء فقط أو ما يسمى crowd funding[189].

وهذا الرأي يقارب كثيراً تحليل سيلفيا عندما شددت على أهمية زيادة عدد النشطاء الفلسطينيين داخل الحركة وبشكل دائم "Long Termers"، لتنشط فعالية الحركة ككل، فالكثير يأتي ويغادر في هذه الحركة وتحتاج لتنظيم أكثر من أجل تحقيق تأثير طويل المدى. وليس مطلوباً من الأجانب الانخراط لسنوات متتالية، لكن على الأقل ليس لأشهر أو أسابيع قليلة وإن كان ذلك مهماً لأن العمل الحقيقي هو في بلاد النشطاء[190].

أما دلبح فله تقييم مختلف وإيجابي أكثر، مؤكداً أن الأثر الرئيسي للحركة في فلسطين، هو النواة الرئيسية التي خلقت حركة تضامن مع فلسطين ولا تزال تجذب المزيد من النشطاء، حتى إن كان لأجسام أخرى. الرعيل الأول من 2001 وحتى 2007، هو من أوجد أناساً آخرين يأتون إلى فلسطين تحت مسميات أخرى. وهذا أوجد الأجسام الفلسطينية الجديدة، التي على أهميتها،

---

189 كرم، مقابلة شخصية
190 هارالدسون، مقابلة شخصية

فإنّ الجو العام جعل هذه الأجسام غير فاعلة وجعلها أشبه بمؤسسات غير حكومية أكثر من كونها أجسام مقاومة شعبية. مع أن الفعاليات قليلة وبرنامج النشطاء حالياً محدود، لكن دوام الحركة يتجلى بأنه في حال حدث شيء، فمن السهل جداً تجميع أعضائها وتجنيدهم كما كان الحال في 2001. النشطاء الذين جاءوا في البدايات، ومع أنهم لم يعودوا ينتمون للحركة، لكنهم نشطاء تحت أسماء مختلفة ويشاركون بكل الأنشطة.

ويؤكد أن أثر النشطاء في الخارج واضح، ويتم البناء عليه كثيراً، فالجهود فردية نوعاً ما وليست جماعية. مشيراً إلى المؤتمر الذي عقد في أيلول 2017 وحاولوا إحضار ممثلي جماعات الدعم للحركة حول العالم، من أجل تنشيط "أرشيف الحركة" خاصة النشطاء القدامى جداً. وستعرف الحركة في المستقبل إذا ما كانت هذه الجماعات ستستطيع معاودة التواصل مع نشطاء قدامى جداً وزيادة عددهم حالياً، الأمر الذي سيحتاج إلى جهد وتعاون كبيرين.

ذروة الحركة انخفضت لا شك، لكن الأرضية التي خلقتها هنا في حال وجد ظرف موضوعي من الممكن أن تصعد، وهذه إيجابية مهمة للحركة بأنها مستمرة. أحد أهداف مؤتمر أيلول كان فحص عمر الحركة، هل انتهى؟ تبين أنه لم ينتهِ، خاصة أن الأجسام الفلسطينية الأخرى تتصل بنا لنؤمن لها النشطاء بأعداد أكبر ولفترات طويلة، وهذا دلالة على أهمية وجود الحركة. كما قرر المؤتمر تقوية العلاقة بين جماعات الدعم وبين فلسطين، وتنظيم الحركة بحيث تتواجد في فلسطين ثلاث فرق رئيسية موزعة (شمال نابلس، وجنوب الخليل، ورام الله كمركز

للتدريب والإعلام) حتى لو اضطرت جماعات الضغط لإرسال نشطاء على حسابها. ما تقرر في المؤتمر، هو الحفاظ على الحركة للمستقبل بحيث في حال عادت فعالية المقاومة الشعبية والحراك على الأرض، يكون لها جذور، علماً أن 80% من فعالية كل ناشط هي حين عودته إلى بلاده[191].

4-3 اختبار هبة 2015

جاءت هبة 2015 كأول اختبار حقيقي لحركة التضامن الدولية بعد موجة التحديات التي عصفت بها وذكر أبرزها في بداية الفصل هذا. ومع أن الهبة لم تكتمل لتصبح حالة شعبية كاملة ومستمرة كانتفاضة الأقصى، إلا أن حركة التضامن الدولية فشلت في التكيف مع الهبة وخلق إطار مرن ليستوعب حاجة الشباب الفلسطيني في التعبير والمقاومة بدلاً من التعبير عن غضبهم وإحباطهم من خلال عمليات القتل المباشرة للأهداف الإسرائيلية التي ميزت هذه الهبة. وعلى الأرض، لم تطلق الحركة أي حملة تحاكي واقع المرحلة، كان من الممكن أن تستوعب فيها الشباب للانخراط في عمل شعبي وسلمي دون التعرض للقتل العمد من قبل سلطات الاحتلال. وقد يعود ذلك لسببين رئيسين: الأول أن الحركة الشعبية الفلسطينية غير فاعلة ولم تنشط في الهبة، والسبب الثاني قلة النشطاء الأجانب في فلسطين في هذه المرحلة، وبالتالي لم تستطع الحركة الخروج بحملة أو حالة شعبية طويلة بعض الشيء لتشكل بديلاً عن العمليات التي نفذها الشباب الفلسطيني.

---

[191] دلبح، مقابلة شخصية

ومقابل ذلك، تقدمت حركة مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها، وبشكل ملحوظ ولافت في الفترة نفسها، حيث سجلت إنجازات جديدة على الصعيد العالمي ضيقت من خلاله الخناق على إسرائيل، ووسعت دائرة المقاطعين لإسرائيل حتى اعتبرتها دولة الاحتلال تهديداً استراتيجياً لها. ومع أن حركة التضامن وحركة المقاطعة تختلفان في منهج العمل، إلا أن كلتيهما حركة عالمية عابرة للحدود الوطنية، باختلاف أساليب العمل والأهداف بطبيعة الحال. ومن أهم الإنجازات التي حققتها حركة المقاطعة، إقامة أسبوع مناهضة الأبرتهايد في أكثر من 150 دولة؛ و63 عضو برلمان أوروبياً يصوتون لصالح إلغاء اتفاقية التجارة الحرة مع دولة الاحتلال؛ وتمرير قرارات بسحب الاستثمارات في العديد من الجامعات حول العالم؛ وتراجعت قيمة الصادرات الإسرائيلية إلى الأراضي المحتلة في عام 2014 إلى 2.9 مليار دولار بالمقارنة مع 3.4 مليار دولار في 2013، أي بنسبة 15%. كما تراجعت قيمة هذه الصادرات أكثر في الربع الأول من 2015 بنسبة 24% وفق دراسة البنك الدولي[192].

وإذا ما تم الرجوع للإطار النظري، فإن حركة المقاطعة، تطبعت بصفات ومميزات الحركات العالمية التي جاءت في عصر العولمة، من ناحية العضوية "الفضفاضة" واستقطاب نشطاء من حول العالم دون الالتقاء بهم شخصيا، وإنما تم استخدام وسائل التواصل الجديدة في

[192] "2015: تزايد إنجازات حركة المقاطعة (BDS) واتساع رقعة هبة المقاومة الشعبية"، من الاقتصادي، 2016/1/28، واسترجعت بتاريخ 2018/3/8، من خلال الرابط: http://bit.ly/2oZyLYP

تجييش حملات دولية من أجل مقاطعة إسرائيل والضغط على الحكومات الغربية. كما واعتمدت الحركة على المؤتمرات الشعبية الدولية الكبيرة من أجل الإعلان عن حملاتها. ومع أن الحركة مرجعيتها فلسطينية، إلا وأنها

> تعتمد –وبشكل كبير– على الجهود التطوعية لأفراد ومؤسسات مؤيدين لحقوق الفلسطينيين على مستوى العالم، إضافة إلى المبادرات الفردية والجماعية المنظمة؛ حيث تنسق الحركة مع حلفائها حول العالم. كما ينتمي للحركة عدد قليل من الإسرائيليين المناصرين لها والمعادين للصهيونية والمتبنّين لأهداف الحركة المنادية بالمقاطعة الكاملة، وهو ما أسهم في نزع الفكرة الإسرائيلية التي تروِّج في الغرب على أن الحملة معادية للسامية.[193]

والمبدأ نفسه ينطبق على حركة التضامن الدولية كما تبين في الفصول السابقة، حيث تصر الحركة على التعريف بنفسها أنها فلسطينية الأصل إلا وأنها ترحب بكل النشطاء والمؤسسات الدولية الذين يستطيعون في مساعدة الحركة على تحقيق أهدافها. كما تتشابه الحركتان باستخدام المعلومات والكيد المرتد في استراتيجية عملهما، فحركة المقاطعة تعمد بشكل كبير على جمع المعلومات وعرضها للعالم من أجل فضح ممارسات الاحتلال وتوضيح أثر مقاطعة إسرائيل

---

[193] د. محمد جرابعة، *حركة مقاطعة إسرائيل: الإنجازات، والمعوقات، والآفاق*. مركز الجزيرة للدراسات، شوهدت في تاريخ 2018/3/31 في http://studies.aljazeera.net/ar/reports/2015/07/2015769545943866.html

الإيجابي على الفلسطينيين وعلى تكبيد دولة الاحتلال أكبر الخسائر. ويبين الباحث والمحاضر في "مركز إيرلانغن للإسلام والقانون في أوروبا" (EZIRE) وفي الأكاديمية البافارية للعلوم والإنسانيات في ألمانيا د. محمد جرابعة، استراتيجية حركة المقاطعة خارجيا:

> ولإجبار الشركات على سحب استثماراتها من إسرائيل، يقوم ناشطو الحركة بحملات منظمة ومستدامة تستهدف مهاجمة الشركات التي تستثمر في إسرائيل (وخاصة في مستوطنات الضفة الغربية) من خلال التهديد بمقاطعة منتجاتهم أو التحريض عليها، أي إن الحركة تسعى إلى تعبئة المستهلكين للامتناع عن شراء منتجات الشركات أو خدماتها، وبالتالي تقليل الإيرادات وفرض تكاليف إضافية في السوق عن طريق إحداث ردود فعل سلبية بين جمهور المستهلكين وتدمير سمعة هذه الشركات بين زبائنها؛ بهدف زيادة الضغوط على هذه الشركات من خلال التركيز على صورتها وسمعتها.[194]

وحول عملها داخليا:

> تقوم استراتيجية الحركة داخل الأراضي المحتلة عام 1967 على السعي لمقاطعة المنتجات والمؤسسات الإسرائيلية ونشر التوعية بين الفلسطينيين حول أهمية المقاطعة. وتعتبر "اللجنة الوطنية لمقاطعة إسرائيل" و"اللجنة التنسيقية للمقاطعة

---

[194] المصدر السابق

الشعبية" والتي تشكَّلت حديثًا إحدى أهم الأدوات التي يتم استخدامها للتعبئة الشعبية. كما تسعى الحركة إلى تشجيع المنتج الوطني وتوفير البديل للمنتج الإسرائيلي من حيث الجودة والسعر.[195]

ويمكن القول إن التشابه بين الحركتين، هو ما جعل نشطاء حركة التضامن الدولية سابقا، نشطاء حركة المقاطعة الدولية حاليا؛ حيث أن معظم نشطاء حركة التضامن في الخارج انخرطوا في أنشطة حركة المقاطعة خاصة وأنهم لا يحتاجون للتفرغ أو للسفر من أجل الانضمام للحركة. والسياق نفسه، ما ميز حركة المقاطعة عن حركة التضامن الدولية، هي مبادئ الحركة المفصلة اتجاه كل ما يتعلق في القضية الفلسطينية. فكما أسلفت، لم توضح حركة التضامن الدولية موقفها من اللاجئين مثلا أو حول ما إذا تعبر إسرائيل كيان مستعمر أم لا. في المقابل توضح حركة المقاطعة موقفها بشكل واضح وصريح وتشدد عليه في كل المناسبات، من كل القضايا المتعلقة. فعلى موقعها الالكتروني، توضح الحركة مطالبها بثلاثة نقاط:

1. أن تنهي إسرائيل احتلالها واستعمارها لكل الأرض العربية وتفكيك الجدار.
2. الاعتراف بالحقوق الأساسية للفلسطينيين داخل حدود 1984، بالمساواة الكاملة.
3. تطبيق حق العودة للاجئين الفلسطينيين وفقا لقرار الأمم المتحدة 194.[196]

---

[195] المصدر السابق.

[196] What is BDS?, retrieved in 29/3/2018 on https://bdsmovement.net/what-is-bds

الخاتمة

مع انتهاء هذه الدراسة، لا ينتهي البحث في التضامن الدولي مع القضية الفلسطينية ولا في حركة التضامن الدولية، إنما هذه الدراسة قد تفتح منافذ بحث أكثر تخصصاً في مرحلة لاحقة. فسيكون من المهم أن تتم دراسة ما إذا كانت حركة التضامن الدولية ستطور نفسها، وتخرج من أزماتها، وتتجاوز العقبات التي تواجهها. كما سيكون مهماً دراسة أثر كل الأجسام الفلسطينية التي تعمل حالياً ضد الاحتلال وتستقطب المتضامنين الدوليين، خاصة تلك التي يقودها نشطاء انشقوا عن حركة التضامن الدولية. والأهم أيضاً مراقبة ما إذا ستخرج مظلة فلسطينية جامعة توحد كل هذه الجهود تحت غطاء واحد وجهد مشترك، ودراسة هذه التجربة لاحقاً.

وحتى ذلك الوقت، ستلخص هذه الخاتمة أهم ما ورد في هذه الدراسة، بدءاً من الإطار النظري الذي يوضح أن الحركات العابرة للحدود الوطنية هي فواعل دولية قائمة حتى ولو ليس بالشكل التقليدي لهذه الفواعل، إنما أثرها واضح ومهم في السياسة الدولية خصوصاً بسبب ثورة وسائل الاتصال في العالم، ولكن مدى أثر هذه الحركات، والنتيجة النهائية لنشاطاتها، لا زال موضع جدل وشك. فهذه الحركات فضفاضة، تعتمد على آليات عمل مثل نشر المعلومات من أجل تحقيق الأثر، أو مكافحة المعلومات الخطأ، فضلا عن التظاهرات والاحتجاجات، والتواجد الجسدي من أجل توفير الحماية وغيرها من السمات الأخرى. ولكن هناك شكوك بشأن استمرار

هذه الحركات، وقدرتها تطوير خطط عمل استراتيجية، بعيداً عن ردود الفعل وعن التصدي لمهمات في مناسبات بعينها. وهو ما ينطبق على التضامن مع الفلسطينيين بعد الانتفاضة الثانية، حيث انخفض عدد المتضامنين لصالح قضايا ملحة أكثر كاليمن وسوريا تحديداً.

أما فيما يتعلق بتاريخ التضامن الدولي مع الفلسطينيين، فإن الملاحظ أن التضامن الدولي اختلف في كل مرحلة من مراحل القضية الفلسطينية، إلا أن هناك تقصيراً فلسطينياً واضحاً في استغلال التضامن الدولي خاصة في مرحلة ما بعد الانتفاضة الثانية، خاصة إذا اطلعنا على كيفية توظيف الفلسطينيين كل الأدوات الممكنة من أجل لفت الانتباه للقضية الفلسطينية وضمن جهد جماعي ومتكامل يجمع بين الرسمي والشعبي إن صح التعبير. حالياً، الجهد الشعبي في الخارج فردي لأشخاص محددين ولا توجد آلية واضحة أو منظمة لكيفية استقطاب التضامن، خاصة في المحافل الخارجية. ولكن وفي نفس الوقت، لا شك في أن حركة المقاطعة الدولية هي إحدى الأطر المنظمة القليلة الفاعلة الآن في العالم، فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية، وتحقق حضور نوعي، إلا أن جهود حملات المقاطعة، لا تتحول إلى استراتيجية وطنية، خصوصاً على صعيد تبنيها فعلياً من قبل منظمة التحرير الفلسطينية، والسلطة الفلسطينية.

بالمجمل، لا توجد جهة أو مظلة شعبية موحدة تقود التضامن الدولي الموجه للشعوب في الخارج، وكل المشاركات الفلسطينية في الخارج (منذ تسعينات القرن العشرين) فردية وشخصية، أو مجموعات تتكون وتختفي سريعاً، وحتى إنجازاتها محصورة. أما على الأرض، فقد تُركت حركة

التضامن الدولية تواجه تحدياتها وحدها دون وجود جهد شعبي حقيقي لدعم الحركة وضمان استمراريتها.

وفيما يتعلق بالحركة نفسها، فإنّ حالتها المتراجعة (في مرحلة انجاز هذه الدراسة على الأقل) طغت على كل إنجازاتها السابقة الكبيرة والمهمة، خاصة فيما يتعلق بتدويل القضية الفلسطينية ولفت نظر المؤسسات الدولية وشعوب العالم لما يجري في فلسطين. ولا شك أن هناك أسباب موضوعية عدة للتراجع، وهذا ما حاولت هذه الرسالة دراسته. ويبدو واضحاً أن العنصر الفلسطيني كان له الأثر الأكبر في تراجع الحركة، كقلة المشاركة الفلسطينية وتراجع المقاومة الشعبية. ولكن الأهم، يتضح جلياً أن خيار عدم وجود هيكلية واضحة للحركة أو عدم وجود حقيقي لقيادة، أبرز ما أثر على الحركة، حيث لم تكن هناك ذاكرة أو عمود فقري للحركة يستند عليه الجميع ويتم البناء عليه. الوجوه تتغير كل شهر والإنجازات تسافر مع أصحابها ولا يوجد تواصل حقيقي مع النشطاء الذين يغادرون، وبالتالي، فمن الصعب أن يجد الناشط أساساً ليبني عليه مشاركته. ففعلياً، لا يوجد شيء من بنية الحركة التنظيمية ولا آلية عملها غير مبادئها وأبرز قوانينها، فهي كما تشكلت استجابة لمبادرات فلسطينية بقيت على حالها، بل لم تعد مبادرات فلسطينية، وبالتالي لم تستطع الحركة خلق حالة أو أن تبادر لفعل مستمر ومتسع في الميدان.

كما يتجلى في هذه الدراسة، ارتباك العلاقة بين الفلسطيني والدولي، حيث لم تضع حركة التضامن الدولية حدوداً لما هو دولي وما هو فلسطيني، ونفس الشيء فيما يتعلق بأجسام المقاومة

الشعبية. حيث الامتزاج بين الحركة الدولية والفلسطينيين مربك وغير واضح، وقد يكون أثّر على كلا الطرفين سلباً. فارتباط الحركة الدولية بالفلسطينيين قد يكون عاملاً سلبياً لناشط أجنبي يبحث عن دائرة أجنبية أكثر من فلسطينية للتطوع في فلسطين، وفي نفس الوقت الكثير من الفلسطينيين (شعباً وقيادات ميدانية) كانوا متوجسين من الأجانب، الأمر الذي شكل لهم رد فعل من المقاومة الشعبية. وحقيقة، فهذه الحالة استمرت حتى أصبحت هناك انشقاقات فلسطينية بعضها استغل عدم وضوح العلاقة، وخرجوا يدعون لأجسام فلسطينية مستقلة تماماً، تستقبل المتطوعين الأجانب ولكن ضمن منظومتهم. والنتيجة واحدة، فالأجنبي لن يأتي إلى أي جسم لا يتناسب مع توجهاته ومبادئه، وبالتالي لن يملي الفلسطينيون رأيهم على أحد.

هذه الحالة هي التي أفضت لكل عوامل تراجع الحركة، وهي متعددة ومعقدة. بدءاً من الانشقاقات الفلسطينية واتجاه نشطاء فلسطينيين إلى فتح مؤسساتهم الخاصة وتشتيت التضامن، وساهم في ذلك الأجانب الذين دعموا أشخاصاً مقابل أشخاص آخرين. ومن ثم نقص التمويل والدعم المالي للحركة، وتراجع المقاومة الشعبية الفلسطينية، ومشاكل البنية الداخلية للحركة، وكل ما ذكر في الفصل الرابع من أسباب للتراجع. ومع أن أسباب تراجع الحركة معقدة وكثيرة كما ذكر سابقاً، لكن لا يمكن إنكار أن الحركة خلقت أرضية أو وُجهة للمتضامنين الدوليين، يمكن استعادة نشاطها أمام أي حالة فلسطينية جديدة بحجم الانتفاضة ومستمرة لفترة طويلة. فكل ناشط دولي شارك يعرف طريق الرجعة إذا ما أراد الرجوع للتضامن مع الفلسطينيين. كما أن المرونة التنظيمية في الحركة، من الممكن أن يكون لها وجه إيجابي، يجعل كل ناشط بغض النظر عن

دينه أو جنسيته أو عرقه أو مبادئه، يشعر بأن له مكاناً في فلسطين إذا ما احتاج الأمر.

مع كل الضعف الذي تعانيه الحركة الآن، إلا أنها يمكن أن توقظ خلاياها في أي وقت ولكن بشرط أن تبقي خطاً ولو رفيعاً جداً مع الفلسطينيين والعالم الخارجي، لتبقى في الذاكرة والمخيلة للجميع. وهذا الخيط من الممكن أن يكون مبادرات من الحركة دون الاعتماد على الميدان الفلسطيني، حتى وإن كانت الأعداد المتواجدة من الحركة قليلة. فعالية خلاقة عند جدار الفصل العنصري من الممكن أن تحيي الذاكرة، أو فعالية صغيرة لجماعات الضغط في الخارج ستكون مفيدة. ومن الواضح أن المؤتمر الذي عقدته الحركة في أيلول 2017، كان جزءاً من ذلك الخيط، حيث نادت جماعتها في الخارج وحثتهم على العمل. قد يكون أول حدث فلسطيني جديد كانتفاضة مثلاً، اختباراً واضحاً وسهلاً إذا ما بقي شيء من الحركة أو انتهت.

قائمة المراجع والمصادر:

مقابلات شخصية:

جمال جمعة، مقابلة شخصية، رام الله، 12 تشرين الأول 2016

سيلفيا هارالدسون، مقابلة شخصية، رام الله، 13 تشرين الثاني 2017.

عبد الكريم دلبح، مقابلة شخصية، رام الله، 19 تشرين الأول 2017.

عبد الله أبو رحمة، مقابلة شخصية، رام الله، 12 آذار 2015.

عيسى عمرو، مقابلة عبر سكايب، 14 تشرين الأول 2017.

غسان أنضوني، مقابلة شخصية، بيرزيت، 8 تشرين الأول 2016

كرم، مقابلة شخصية، رام الله، 13 تشرين الأول 2017.

مازن قمصية، مقابلة شخصية، بيت لحم، 30 تشرين الثاني 2014.

نبيل شعث، مقابلة شخصية، رام الله، 2 شباط 2014.

نيتا جولاني، مقابلة شخصية، نابلس، 25 نيسان 2015، واتصال هاتفي معها في، 12 تشرين الثاني 2017.

هويدا عرّاف، مقابلة عبر سكايب، 11 كانون الأول 2016.

الكتب باللغة الإنجليزية

Baumgartner, Trevor. “A Strange Trip, Account of the Second ISM Campaign”, in Peace under Fire, Ghassan Andoni, Huwaida Arraf, Nicholas Blincoe, Hussein Khalili, Marissa McLaughlin, Radhika Sainath, Josie Sanderrock, eds. First Published (UK: Verso, 2004).

Bird, Kai. *The Good Spy, the Life and Death of Robert Ames*, (New York: Broadway Books, 2014)

Dudouet, Veronique. “Cross Boarder Nonviolent Advocacy during the Second Palestinian Intifada: The International Solidarity Movement”, in *People Power; unarmed resistance and global solidarity*, edited by Howard Clark, (London: Pluto Press 2009)

E. Keck, Margaret and Kathryn Sikkink, *Activists beyond Borders; Advocacy Networks in International Politics*, first printing (United States of America: Cornell University Press, 1998)

Eguren, Luis Enrique. “Developing Strategy for Accompaniment” in *People Power; Unarmed Resistance and Global Solidarity*, edited by Howard Clark. First Printing (London: Pluto Press 2009)

Faure, Gaelle. “The Truth about Occupation; Activists decry plight of Palestinians”, in *Peace under Fire*, edited by Ghassan Andoni, Huwaida Arraf, Nicholas Blincoe, Hussein Khalili, Marissa McLaughlin, Radhika Sainath, Josie Sanderrock. First Published (UK: Verso, 2004)

Mark, Levine. “Getting Through the Wounded”, in *Peace under Fire*, Ghassan Andoni, Huwaida Arraf, Nicholas Blincoe, Hussein Khalili, Marissa McLaughlin, Radhika Sainath, Josie Sanderrock, eds. First Published (UK: Verso, 2004)

Martin, Brian. “Making Accompaniment Effective”, in *People Power; Unarmed Resistance and Global Solidarity*, edited by Howard Clark. First Printing (London: Pluto Press 2009)

People Power, Unarmed Resistance and Global Solidarity, edited by Howard Clark. First publishing (London: Plutu 2009)

Scribner, Ben. “The Role of Internationals in the Palestinian Struggle”, in*, Live from Palestine,* edited by Nancy Stohlman and Lauriean Aladin*.* (Cambridge: South End Press 2003)

Yaalon, Moshe. *Open Line with The Chief of Staff*, in Peace under Fire, Ghassan Andoni, Huwaida Arraf, Nicholas Blincoe, Hussein Khalili, Marissa McLaughlin, Radhika Sainath, Josie Sanderrock, eds. First Published (UK: Verso, 2004)

الكتب باللغة العربية:

أحمد يوسف، سامي. **الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، الجذور، التكوين، المسارات** (القاهرة: جزيرة الورد، 2010)،

جمعة، جمال. "السياسات التوسعية الإسرائيلية واستراتيجيات العمل الفلسطيني لمواجهتها" ، في **فلسطين: دروس الماضي تحديات الحاضر واستراتيجيات المستقبل،** (رام الله: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2012)

الحروب، خالد. "المقاومة الفلسطينية: التجربة التاريخية والانتقال إلى المقاومة الشعبية" ، في **فلسطين: دروس الماضي تحديات الحاضر واستراتيجيات المستقبل،** (رام الله: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2012)

سلامة، عبد الغني. "نموذج "بلعين" في المقاومة الشعبية"، في **نجمة كنعان–المقاومة المدينة والثقافية الفلسطينية–معركة الهوية**، ط1 (عمان: دار فضاءات للنشر والتوزيع، 2011)

شربل، غسان. **أسرار الصندوق الأسود**، الطبعة الأولى (بيروت: كتب رياض الريس، 2008)

شعث، نبيل. **حياتي.. من النكبة إلى الثورة**، طبعة أولى (فلسطين: دار الشروق، 2016)

عبد الرحمن، أحمد. **عشت في زمن عرفات**، طبعة ثالثة (فلسطين: دار الحرية للثقافة الوطنية، 2014)

قمصية، مازن. **المقاومة الشعبية في فلسطين تاريخ حافل بالأمل والإنجاز** (رام الله: مواطن؛ المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، 2011)،

يوسف، محمد. **بلعين...في المقاومة الشعبية** (رام الله: مكتب الشؤون الفكرية والدراسات (فتح)، 2007)

دوريات:

Seitz, Charmin. "ISM at the Crossroads: The Evolution of the International Solidarity", **Journal of Palestine Studies,** Vol,32 No.4. (2002)

دوريات إلكترونية:

Morgantini, Luisa. “European Solidarity with Palestine", in **This Week in Palestine**, 9/8/2014, retrieved on 1/5/2015 in https://goo.gl/N2BCSQ

رسائل ماجستير:

إبراهيم سيف، **سياسة مصر الخارجية والقضية الفلسطينية، من الحكم الملكي إلى "الربيع العربي" (1917- 2013)**، رسالة ماجستير، جامعة بيرزيت، 2015

صحف ومواقع إخبارية الكترونية:

موسوعة الجزيرة –الجزيرة نت، https://goo.gl/NTecPk

الأيام، https://bit.ly/2C7t7hl

الاقتصادي، http://bit.ly/2oZyLYP

العربي الجديد، https://bit.ly/2oX4FG7

الجزيرة نت، https://goo.gl/iFnVud

عن صدى الوطن جريدة العرب في أمريكا الشمالية، http://bit.ly/2CZ0Kgj

مركز الجزيرة للدراسات، https://bit.ly/1WEE5fD

بيتسيلم، https://bit.ly/2wBrfXV

SF Weekly, http://bit.ly/2pCe0kr

Simplicable, https://simplicable.com/new/think-global-act-local

The Guardian, https://bit.ly/2LPuocu

FIDH (international Federation of Human Rights), http://bit.ly/1LLmDfH

United Nations, https://bit.ly/2zx64Kn

United Nations Human Rights, Office of High Commissioner

https://bit.ly/1GRxWFh

Deir Yassin Remembered https://bit.ly/2PZddZa

Birzeit University https://bit.ly/2BU5YwY

Anti-Slavery, https://goo.gl/9NMFKT

About Women in Black, Woman in Black For Justice Against War,

https://goo.gl/pa2ZHJ

What is BDS?, BDS Movement, https://goo.gl/GiHphe

About ISM, International Solidarity Movement, https://goo.gl/gcuYgM

Rachel Corrie Foundation for Peace & Justice,

http://rachelcorriefoundation.org/rachel

PCR History, https://goo.gl/vsrHAx

Palestine Solidarity Campaign

/https://www.palestinecampaign.org/about

Palestinian Human Rights Defenders www.phrds.ps/arabic.php

International Women's Peace Service iwps.info/about-iwps/

Youth Against Settlements https://hyas.ps/about-us/

Palestinian Grassroots Anti-Apartheid Wall Campaign

https://www.stopthewall.org/about-us